سلسلة
الباب
٢٢



حتى الموت

إسحق إسكندر

سلسلة ملء الجباب

العدد الثاني والعشرون

سبتمبر ٢٠١٦

حتى الموت

إسحق إسكندر

السلسلة : ملء الجباب

الكتاب : حتى الموت

الكاتب : إسحق إسكندر

كمبيوتر : مكتب لامور

تصميم الغلاف : م. نسرين نيشان
Pateer Center

مطبعة : أوتو برنت

إيداع رقم : ١٣٤١٧ / ٢٠١٥ بدار الكتب

ترقيم دولي : 978-977-90-3249-8

فهرس

تذكار وإهداء

تذكار لشهداء المنيا، بليبيا.. عام ٢٠١٥:
الذين «لَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ **حَتَّى الْمَوْتِ**» (رؤ١٢: ١١)
متمثلين بسيدهم:
الذي «وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ **حَتَّى الْمَوْتَ** مَوْتَ الصَّلِيبِ» (في٢: ٨)

وإهداء إلى عائلاتهم، وأهاليهم
الذين شاركوا مطوبة الأجيال العذراء مريم في المكتوب عنها:
«وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ **سَيْفٌ**» (مت٢: ٣٥)

أسماء الشهداء

١- هاني عبد المسيح صليب
٢- بيشوي عادل خلف
٣- صمويل اليهم ويلسن
٤- عزت بشرى نصيف
٥- ميلاد مكين زكي
٦- أبانوب عياد عطية
٧- ماجد سلميان شحاتة
٨- يوسف شكري يونان
٩- كيرلس شكري فوزي
١٠- بيشوي اسطفانوس كامل
١١-صموئيل اسطفانوس كامل
١٢- ملاك إبراهيم سنوت
١٣- تواضروس يوسف تواضروس
١٤- مينا فايز عزيز
١٥- جرجس ميلاد سينوت
١٦- جابر منير عدلي
١٧- لوقا نجاتي
١٨- عصام بدار سمير
١٩- ملاك فرج إبراهيم
٢٠- سامح صلاح فاروق
٢١- قبطي من قرية الغور

مقدمة

أكثر من سبب للاستشهاد.. فهناك ما هو من أجل الوطن.. وما هو من أجل مبدأ.. وما هو من أجل عقيدة.. وهلم جرا.

موضوعنا في هذا الكتيب هو عن الاستشهاد – والشهداء – من أجل المسيح.

وهذا لا يقلل من تقديرنا الكبير لغيرهم من الشهداء (لأجل الوطن.. و....) ذلك لنبل مقصدهم، وجليل تضحيتهم.

الاستشهاد في المسيحية ليس جديداً.. بل له جذور تضرب في بطن التاريخ، وصولاً إلى القرن الميلادي الأول.. منذ بدأت المسيحية، وذلك تتميماً لقول الرب: «إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ....» (يو١٥: ٢٠).. لأنه «لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ الْمُعَلِّمِ، وَلاَ الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ.» (مت١٠: ٢٤).. لأنه «تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِلَّهِ» (يو١٦: ٢).

وقد بدأ الاضطهاد بوضوح منذ العصر الرسولي (سفر الأعمال).. ثم فيما بعده، كقول الروح لملاك كنيسة سميرنا (ومعناها المر.. من ١٦٧ م – ٣١٣م).. «هُوَذَا إِبْلِيسُ مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضاً مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا» (رؤ٢: ١٠)؛ تجربة إنكار المسيح.. فإما إنكاره.. وإما السجن.. وما بعد السجن.

وامتد الاضطهاد، وفي أعقابه الاستشهاد (حتى يومنا هذا).

على أنه – بعد ذلك – لم يكن الاضطهاد من السلطات الرومانية الرسمية وما تلاها من حكومات فقط – بل كان أيضاً على المستوى الشعبي.

وما يدعو إلى **العجب** أن الاضطهاد – في فترة من الفترات – كان يمارس

من الباباوات أنفسهم.. ورجال الكنيسة، وعن هذا الاضطهاد (المسيحي – المسيحي) نقرأ: «فَرَأَيْتُ امْرَأَةً.... بَابِلُ الْعَظِيمَةُ أُمُّ الزَّوَانِي وَرَجَاسَاتِ الأَرْضِ(المسيحية الإسمية). وَرَأَيْتُ الْمَرْأَةَ سَكْرَى مِنْ دَمِ الْقِدِّيسِينَ وَمِنْ دَمِ شُهَدَاءِ يَسُوعَ.» (رؤ١٧: ٦).. **عجيب**!!.. اضطهاد من داخل الكنيسة أيضاً؟.. نعم.. مما حدا بالرائي أن يضيف: «**فَتَعَجَّبْتُ** لَمَّا رَأَيْتُهَا **تَعَجُّباً** عَظِيماً!» (الشاهد السابق).

وهذه السنة (٢٠١٥)، مرت مائة عام على مذابح الأرمن الشهيرة، التي راح ضحيتها حوالي مليون ونصف شهيد.

وحتى يومنا.. الاستشهاد مستمر، يخبو حيناً، ويستعر أحياناً.

وهكذا.... إلى مجيء الرب.

ناهينا عن الشهداء بعد مجيء الرب.. وبعضهم من أجل الشهادة التي عندهم (رؤ٦: ٩).. والبعض الآخر لسبب عدم السجود للوحش (رؤ١٣: ١٥ & ٢٠: ٤).

الشهيد

هل كلمة شهيد كلمة كتابية؟.. أم كلمة جرى العرف على استخدامها؟

الإجابة: هي كلمة كتابية، وردت في العهد الجديد ثلاث مرات.

أولاً: «دَمُ اسْتِفَانُوسَ **شَهِيدِكَ**» (أع٢٢: ٢٠).

ثانياً: «أَنْتِيبَاسُ **شَهِيدِي** الأَمِينُ» (رؤ٢: ١٣).

ثالثاً: «مِنْ دَمِ الْقِدِّيسِينَ وَمِنْ دَمِ **شُهَدَاءِ يَسُوعَ**» (رؤ١٧: ٦).

في الشاهد الأول، «**شَهِيدِكَ**»: والمخاطَب هو **الرب يسوع**.. وفي الشاهد الثاني يقول الرب: «**شهيدي**».. أما الشاهد الثالث فيذكر صراحة أنهم «**شهداء يسوع**»

إذاً لماذا هم «شهداء يسوع».. لأنهم قدموا حياتهم من أجل الرب يسوع.

على أن كلمة الشهيد - لغوياً - مشتقة من «**الشهادة**» كقول الرائي: «رَأَيْتُ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ **شَهَادَةِ** يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ» (رؤ٦: ٩).. فالمقتول هنا هو بسبب **الشهادة**.. من ثم هو **شهيد**.

لماذا هؤلاء بالذات

هل استشهاد بعض المؤمنين - دون غيرهم - هو بسماح من الله؟.. أم أن الذي يحدد ذلك هو الظروف التي قادتهم إلى هذا المصير.. أو أماكن تواجدهم في بيئة تبغضهم.. أو التربص بهم، واصطيادهم - كالحيوانات - بواسطة قاتليهم، قبل أن تتاح لهم فرصة للهرب؟.. فمن هرب نجا.. ومن أُمسك قُتل؟.

الإجابة: **بصفة عامة**، لا شيء يحدث خارج هاتين الدائرتين؛ دائرة المشيئة الإلهية.. ودائرة السماح الإلهي.. **وبصفة خاصة**؛ ما له علاقة بالخدمة.. كالاستشهاد[١].

السؤال إذاً.. وما علاقة الاستشهاد بالخدمة؟

الإجابة: أن هناك خدمة (أو خدمات) يقدمها المؤمن، أثناء حياته، وهذه معروف أمرها.. وهناك شهادة يقدمها خلال موته.. كقول الرسول: «كَذَلِكَ الآنَ، يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءٌ كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ» (في١: ٢٠).. لاسيما إن كان هذا الموت هو استشهاد من أجل المسيح.

كيف؟.. لكل نوعية من البشر ما يؤثر فيها.. أو يقنعها.. أو يجذبها يميناً.. أو يوجهها يساراً.. وبناء عليه فهناك نوعية من البشر، لا تجدي معها الكرازة الشفاهية، مثلما يجدي معها منظر الاستشهاد.. لاسيما إن كانت هذه النوعية لا تعرف شيئاً عن المسيح، أو رجاء المسيحي.

فثبات الشهداء.. وتهلل وجوههم.. لحظة استشهادهم.. كان يدفع هذه النوعية إلى التساؤل، عن السر العجيب، وراء هذا الذي يحدث مخالفاً الطبيعة.. ومع التأمل والبحث، كانوا يصلون إلى الحقيقة؛ وهي أن هناك وراء الطبيعة - محطة ختامية

بهيجة.. يراها هؤلاء الشهداء.. يصل إليها قطارهم بعد لحظات.. يستقبلهم على مشارفها شخص فريد، اسمه يسوع.. هو رب المجد.. فيدرك بعض أفراد هذه النوعية هذه الحقيقة إدراكاً يقينياً لسبب ما رأوه ولمسوه في الشهداء.. فكانوا يقبلون المسيح رباً ومخلصاً لهم.. ويعتمدون (اكو١٥: ٢٩).

إذ كان المدعوون إلى مشاهدة حفلات تعذيب المسيحيين الأوائل وقتلهم، يتجمعون في الموعد المحدد، في الـ «امفي ثياترو» (الأستاد).. في روما، وغيرها عسى أن **تُشفى صدورهم** بأجساد الشهداء الممزقة.. **وتُروى عيونهم** بدماء القديسين المسفوكة.. **وتُشنَّف آذانهم** بأنات المسيحيين المعذبين.. متوقعين أن يرتسم الرعب على وجوه الشهداء.. والفزع على سيمائهم.. والرعشة في أرجلهم.. والارتخاء في أوصالهم والتوسل على ألسنتهم.. والاستجداء بين شفاههم.. وقت تقديمهم أحياء للوحوش.. فكان المشاهدون يفاجأون بالعكس.. مما هو مخالف لكل طبيعة بشرية.. أو قانون منطقي.

وحيث أن الوحوش ممنوع عليها الاقتراب من الإنسان أو افتراسه، بناء على وصية إلهية مقدمة لها!!.. عجيب أَوَ للأسد وأشباهه تعليمات إلهية عليه أن ينفذها؟.. نعم.. فقد قال الله لنوح: «**وَلْتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الأَرْضِ....**» (تك٩: ٢).

هناك خشية إذاً ورهبة للأسد من الإنسان.. وهذا هو الخط الأحمر الذي وضعه الخالق الحكيم للوحوش، حتى لا تفترس الإنسان.

فالأسد يعمل ألف حساب للإنسان.. ويتردد ألف مرة قبل أن يفترسه، أو يقترب منه.. بعكس ما يفعله مع الوعول والأيائل.. وغيرها من الفرائس.

ولإدراك الرومان هذه الحقيقة.. فحتى لا يتردد الأسد.. بل يُقْدِم بكل جسارة وتوحش لافتراس الشهيد – كانوا يخدعون الأسد بأن يلبسوا الشهيد جلد خروف، يخيطونه في جسم الشهيد.. وحتى يلتهم الأسد ضحيته بكل شراهة ونهم، كانوا يلطخون جلود هذه لخراف بدماء الحيوانات.. ثم يطلقون الأُسْد وهي جائعة على هؤلاء الشهداء فتنهشهم

لحماً.. وتهشمهم عظاماً.. على مَظَنَّة أنهم خراف، «بصلصلة» الدم.

أما المؤمنون - في جلود هذه الأغنام - فكانوا يتقدمون بكل ثبات ويقين.. بل بكل فرح وتهلل .. فكان مشهدهم هذا هو أكبر خدمة ملموسة وموثقة، عن رجاءالمسيحي، تُقَدَّم لهذه النوعية من البشر، التي لا تجدي معها نصائح أو مواعظ.

من هنا كان الاستشهاد خدمة لأمثال هؤلاء.

لذلك كان منظر استشهاد المسيحيين في ليبيا، وثباتهم، وسكينتهم، **خدمة كبرى** لكثيرين.. ربما يعلنون عن أنفسهم يوماً ما.

السؤال الآن: إن كان الاستشهاد **خدمة**، فمن الذي يحدد القائمين بها؟.. هل هناك كليات للاهوت لتخريج شهداء؟.. خدمتهم هي الاستشهاد؟.. بالطبع لا.. إن الذي يحدد لكل مؤمن نوع الخدمة له هو الرب.. «إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلاَءِ سَبَى سَبْياً وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا.... أَعْطَى **الْبَعْضَ** أَنْ يَكُونُوا رُسُلاً، **وَالْبَعْضَ** أَنْبِيَاءَ، **وَالْبَعْضَ** مُبَشِّرِينَ، **وَالْبَعْضَ** رُعَاةً وَمُعَلِّمِينَ» (أف٤: ٨، ١١).

كيف تعين شاول الطرسوسي ليكون رسولاً؟.. هل دخل كلية للاهوت - مع تقديرنا لهذه الكليات؟ - أم اجتمع نفر من المؤمنين أو الرسل، ووقع اختيارهم عليه بالتزكية؟.. أم أنه فاز في انتخابات ما؟.. يقول الرب لحنانيا عن شاول: «هَذَا لِي **إِنَاءٌ مُخْتَارٌ** لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ» (أع٩: ١٥).

والسؤال الآن: إن كان شاول **إناءً مختاراً** ، فمن الذي **اختاره**؟.. يجيبنا الرسول بولس نفسه (شاول الطرسوسي سابقاً): «.... لَمَّا سَرَّ اللهُ الَّذِي **أَفْرَزَنِي** مِنْ بَطْنِ أُمِّي، **وَدَعَانِي** بِنِعْمَتِهِ أَنْ يُعْلِنَ ابْنَهُ فِيَّ لِأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الأُمَمِ» (غل١: ١٥، ١٦).. ويقول الرب لتلاميذه: «... أَنَا **اخْتَرْتُكُمْ وَأَقَمْتُكُمْ** لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ» (يو١٥: ١٦).. و «كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ **أُرْسِلُكُمْ** أَنَا» (يو٢٠: ٢١).

فالذي حدد.. واختار.. وأفرز.. ودعا.. وأقام.. وأرسل.. هو الله.

وعليه فإن الذي اختار هؤلاء - كغيرهم - ليسمح باستشهادهم، لتأدية الخدمة

السابق ذكرها، هو الله.

وقبل التساؤل.. وما ذنبهم؟.. نستكمل الحديث.

التوحُّد

يطلب منا كاتب العبرانيين أن: «اُذْكُرُوا الْمُقَيَّدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقَيَّدُونَ مَعَهُمْ، وَالْمُذَلِّينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي الْجَسَدِ» (عب١٣: ٣).. فيما يعني أن نعتبر أنفسنا في نفس موقع هؤلاء، وبنفس قيودهم، وتحت نفس محنتهم.. متألمين بنفس ألمهم، **متوحدين** معهم -معنوياً - فيما يكابدونه.

وقد قرأنا عن عينات من هؤلاء.. وهم الذين «تَجَرَّبُوا فِي هُزُءٍ وَجَلْدٍ، ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضاً وَحَبْسٍ» (عب١١: ٣٦).. الذين «طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ» (عب١١: ٣٧).

أمثال هؤلاء مطلوب منا أن **نتوحد** معهم -معنوياً- فيما يتألمون به.

إلا أن كاتب الرسالة نفسها لا يطلب منا **التوحد** مع الشهداء.. الذين «رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ» (عب١١: ٣٧).

لماذا؟.. لأن **آلام** الأولين يمكن أن تُجرى على جميع المؤمنين (١بط٥: ٩).. **والمعونة** التي تقدم لهم هي متاحة للجميع.. ما هي؟.. إنها النعمة الكافية(٢كو١٢: ٩).. وذلك حتى يستطيع المتألم أن يتغلب -بالنعمة- على محنته مرتين.

الأولى: فكرياً.. فيتأقلم فكره متوافقاً مع الله فيما سمح له باجتيازه فيه.

والثانية: حرفياً.. فيتأقلم كيانه البشري الهش - شاملاً جسده- مع هذا الألم.

أما الاستشهاد فهو **محنة استثنائية**.. استثنائية في **ألمها**.. واستثنائية في **انفراد البعض** - وليس الكل - في اجتيازها.. واستثنائية في **المكافأة** المعدة لهم في المجد.. واستثنائية في **المعونة** المقدمة لهم في الحاضر.

ألم هذه المحنة، لم يرجع أحد –بعد اجتيازه– ليخبرنا عنه.. وللخيال أن يذهب ما شاء له الذهاب– مستنداً إلى كتب طبية وعلمية.. متصوراً هذا الألم، كيفما شاء له التصور.. دون أن يصل إلى إدراك كامل لحقيقة كنهه.

لذلك لم يطلب منا كاتب العبرانيين التوحد مع الشهداء – متقمصين اختباراً لا دراية لنا به – بل على العكس، أشار إلى بعد الشقة بيننا وبينهم، عندما كتب: «لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ (أي حتى الاستشهاد) مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ (خطية الارتداد وإنكار المسيح)» (عب١٢: ٤).. وطلب منا أن «نُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ (لا أن نتوحد) فِي (هذا) الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا» (عب١٢: ١).. وإن كان جهاداً بلا سقف، يصل في نهايته إلى المقاومة حتى الدم.. أي حتى الاستشهاد[٢].

فإما أن نقاوم (فلا ننكر المسيح) حتى الدم – دمنا نحن– وحتى الاستشهاد – استشهادنا نحن– وإما إن لم نصل إلى هذا، فعلينا أن نحاضر بالصبر.. **مقتدين بهم – لا متوحدين معهم**– «نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ **يَسُوعَ**، الَّذِي....احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ» (عب١٢: ٢).

المكافأة

للتقوى مكافأة مزدوجة.. **في الحياة.. وبعد الحياة**..ذلك لأن «التَّقْوَى .... لَهَا مَوْعِدُ الْحَيَاةِ **الْحَاضِرَةِ وَالْعَتِيدَةِ**» (اتي٤: ٨).

ففي **الحياة الحاضرة**، هناك مكافأة للأتقياء (مز٣٤: ٩، ١٠& أم٣: ٧، ٨) ولأولادهم (مز٣٧: ٢٥).. وهذا موضوع آخر.

وفي الحياة العتيدة، هناك مجازاة للأتقياء (٢كو٥: ١٠& لو١٤: ١٣، ١٤) لا مجال لذكرها الآن[٣].

ماذا إذاً عن الشهداء؟.. هل لهم - على ذات القياس - مكافأة مزدوجة .. في الحياة.. وبعد الحياة؟.. كيف، وقد **فارقوا الحياة**؟.. إذا لم يبق لهم إلا المجازاة بعد الحياة.. **في الأبدية**.

والسؤال الآن: ما هي مكافأتهم الأبدية؟.. الإجابة نجدها في قول الروح لملاك كنيسة سميرنا (ومعناها المر): «هُوَذَا إِبْلِيسُ مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضاً مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا (تجربة إنكار المسيح).... كُنْ أَمِيناً إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ **إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ**» (رؤ٢: ١٠).

أي تمسك بإيمانك.. ولا تنكر مسيحك.. فإن أفضى بك الأمر **إلى الموت**، سأعطيك **إكليل الحياة**.

وما دام الأمر كذلك، فـ «**لاَ تَخَفِ الْبَتَّةَ** (مطلقاً) مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ» (الشاهد السابق)[٤].

ما إكليل الحياة؟.. إنه يحدثنا عن جانبين.. جانب كونه **إكليلاً**.. وجانب نَعْته

بالحياة.

الجانب الأول: هو إكليل.. يكلل الهامة.. معنوياً بالطبع.. فيما يفيد المجد.. والفخار.. والكرامة.. **ورفع الرأس**.. هذه الرأس التي انحننت لحظات تحت سيف الجلاد، ستُرفع طول الأبدية في زهو، وسمو.. مكللة بهذا الإكليل.. يتيه به صاحبه في جنبات الأبدية.. أمام جميع الخلائق.. دون أن ينسى بالطبع أن الفضل كله يرجع للرب.. شاكراً إياه بالقول: أنت «**مَجْدِي وَرَافِعُ رَأْسِي**» (مز٣: ٣).

الجانب الثاني: وصف الإكليل بأنه «إكليل الحياة»، يفيد بأنه يعوض عن الحياة التي قُدمت على مذبح الشهادة.. ففي فقد هذه الحياة حرمان من أشياء جملية خلقها الله لإسعاد الإنسان.. حرفياً.. ومعنوياً.. فلست – أو لسنا – من الذين ينبذون الحياة.. أو يعتبرونها شراً.. لقد خلقها الله وإذ هي «حَسَنَةٌ جِدّاً» (تك١: ٣١)، وقت خلقها.. وإن كانت الخطية قد أفسدتها، إلا أنه لا تزال هناك بصمات الخالق الصالحة، فارضة نفسها في «كُلُّ مَا هُوَ حَقٌّ، كُلُّ مَا هُوَ جَلِيلٌ، كُلُّ مَا هُوَ عَادِلٌ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِرٌ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِرّ» (في٤: ٨).. رغماً عن لعنة الأرض (تك٣: ١٧).. فالرب لم يقل فقط: «شَوْكاً وَحَسَكاً تُنْبِتُ لَكَ (الأرض)» (تك٣: ١٩).. بل شوكاً وحسكاً، مع أشياء أخرى يقتاتها الإنسان، فـ «يَأْكُلُ خُبْزاً» (الشاهد السابق& مز١٠٤: ١٥).. وتهتبلها البهائم، فتشبع عشباً (مز١٠٤: ١٤).. وتلتقطها فراخ الغربان، فتهنأ قوتاً (أي٣٨: ٤١& مز١٤٧: ٩).. وتبتلعها دبابات البحر، فتغنم صيداً (مز١٠٤: ٢٥، ٢٧).

هذا عن الماديات.. فماذا عن المعنويات؟.. هنالك في الحياة – على سبيل المثال– مشاعر نبيلة .. وعواطف نقية.. لدى البشر عموماً.. كعاطفة الأبوة (مز١٠٣: ١٣ & مت٧: ٩ – ١١).. وعاطفة الأمومة (إش٦٦: ١٣).

فإن نزلنا عن مستوى البشر واتجهنا إلى الحيوان نجد هذه المشاعر عند الحيوانات أيضاً.. الأمر الذي حدا بالله كلي الصلاح.. خالق هذه الحيوانات.. وواضع فيها هذه الغرائز النبيلة، أن ينص في الناموس بقوله: «لاَ تَكُمَّ ثَوْراً دَارِساً» (تث٢٥: ٤

& ١كو٩: ٩).. وهذا يدخل في جانب الماديات.. إلا أن النص يمتد إلى المعنويات، بقوله: «لاَ تَطْبُخْ جَدْياً بِلَبَنِ أُمِّهِ» (خر٢٣: ١٩).. ما المعنى؟

المعنى؛ أنه عليك أن تحترم عاطفة الأمومة السامية – ولو لدى الحيوان – هذه العاطفة التي تدفع الماعز لإدرار لبنها لإطعام رضيعها.. حتى أنه إن مات، توقف لبنها لغيابه.. فإن أنت حلبت هذا اللبن منها، فقد أعطته إياك عن طيب خاطر، لتطعم ولدها الذي تتوقع وجوده حياً، وقريباً منها.. فلو علمت غدرك، وأنك تستحلب ضرعها، وأنت شارع في ذبح وليدها، لتطبخه بهذا اللبن ما أعطته إياك.. لقد خدعتها ولم تراع أمومتها(٥).

هذه قطرة من بحر كل ما هو جليل وطاهر ومسر ونازل من عند الله؛ «أَبِي الأَنْوَارِ» (يع١: ١٧).. كلي الصلاح.

حرمان الشهيد إذاً من ممارسة عاطفة الأبوة مثلاً، إن كان أباً.. أو من التمتع بعاطفة البنوة، إن كان ابناً.. لابد أن يكون له تعويض أبدي عن هذه الناحية من الحياة.. والتي حرم منها.. ولكنه تعويض روحي.

كيف يكون هذا التعويض السماوي عن الحياة، لمن حرم منها بسبب استشهاده؟.. لا أعلم.. لكنه سيكون يقيناً جزاءً من جنس العمل.. «لأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ» (عب٦: ١٠) حتى يكون مديوناً لعبده بشيء يقدمه له هذا العبد.. مضحياً به من أجل اسمه.. ثم يضن الله – «مَالِكِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» (تك١٤: ١٩)، «وَالْبَحْرَ وَمَا فِيهِ» (رؤ١٠: ٦) – بعد ذلك، بالتعويض المناسب؛ بإكليل الحياة.. الذي لا يتناسب فقط مع الإنسان واستحقاقه لهذا الإكليل.. بل مع الله الذي يعطي «بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (في٤: ١٩)

المعونة

إن كانت هناك مكافاة أبدية، وتعويضاً سماوياً في المجد، لهؤلاء الشهداء.. فهل يكابدون «أَلَمِ الْمَوْتِ» (عب٢: ٩) والاستشهاد، ولا يُقدّم لهم شيء خلال محنتهم سوى التلويح لهم – فقط – بهذه المكافأة.. علّهم يصبرون.. أليس «الصَّبْرُ تَزْكِيَةً» (رو٥: ٤)؟.. كلا بالطبع.. هذا لا يكفي.. فالإقدام على الموت هو ضد الطبيعة الإنسانية، لاسيما إن كان هذا الموت مصحوباً بعذابات فوق احتمال الكيان الإنساني الهش.

لذلك فإن لم يكن هناك تعويض للشهيد في الحياة – إذ قد فارق الحياة – فإن هناك معونة فورية تقدم له **أثناء الحياة**، وخلال اجتيازه هذه المحنة، من الذي: «يَرْكَبُ السَّمَاءَ فِي مَعُونَتِكَ وَالْغَمَامَ فِي عَظَمَتِهِ» (تث٣٣: ٢٦).. فمن وراء الغمام «يَأْتِي عَوْنِي. مَعُونَتِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ صَانِعِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» (مز ١٢١: ١، ٢).

ويسمى العلماء هذه المحنة بـ «بمحنة الإعدام».. فهي محنة نفسية.. قبل أن تكون مصحوبة بآلام جسدية رهيبة، تتفاوت تبعاً لنوع التعذيب والإعدام.

الأمر الذي حدا بالحكيم أن يكتب: «أَعْطُوا مُسْكِراً لِهَالِكٍ وَخَمْراً لِمُرِّي النَّفْسِ. يَشْرَبُ وَيَنْسَى فَقْرَهُ وَلاَ يَذْكُرُ تَعَبَهُ بَعْدُ» (أم٣١: ٦، ٧).

من هو الهالك؟.. هو **المحكوم عليه بالإعدام**.. فحتى تخف عليه آلامه طلب الحكيم أن يُقدّم له مسكراً.

وكان اليهود – تنفيذاً لهذه الكلمات.. وإشفاقاً منهم على أبناء جلدتهم المحكوم عليهم بالإعدام، لاسيما بالصلب، يقدمون لهم مسكراً قبل تنفيذ الحكم.

وهو ما قُدِّم للرب يسوع **قبل صلبه** .. كما نقرأ: «. وَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ

لَهُ جُلْجُثَةُ وَهُوَ الْمُسَمَّى «مَوْضِعَ الْجُمْجُمَةِ» **أَعْطَوْهُ خَلاًّ مَمْزُوجاً بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ**»[٦] (مت٢٧: ٣٣).

ومزج الخل بالمرارة يضاعف قوة التخدير حتى تخف آلام المقتول.. أما الرب فـ«لَمَّا ذَاقَ (هذا المسكر) لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ» (الشاهد السابق).. حتى يكون في كامل وعيه، لاحتمال آلام الصلب، والآلام الكفارية.

أما إن كان البشير يوحنا قد ذكر أن يسوع أخذ (أي شرب) الخل» (يو١٩: ٣٠) فهذه:

أولاً: كانت مرة أخرى بخلاف المرة الأولى التي ذكرها البشير متى.

ثانياً: كانت في ختام ساعات الصلب الست (يو١٩: ٢٨).. وليست قبلها (كما ذكر البشير متى)

ثالثاً: كانت خلاً فقط.. وبالتالي غير مسكر.

رابعاً: شرب الرب لهذا الخل – مع كونه عطشاناً – لم يكن لسبب عطشه هذا فقط – له المجد – بل كان «لِكَيْ يَتِمَّ الْكِتَابُ (المكتوب) قَالَ: أَنَا عَطْشَانُ» (يو١٩: ٢٨).. أين ورد هذا المكتوب؟.. في المزمور: «وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَماً وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ» (مز٦٩: ٢١).

وما الذي في مقدور البشر أن يقدموه لهالك تعاطفاً منهم معه.. **رأفة** منهم به.. وتخفيفاً منهم لألمه – أكثر من هذا.

ألعل الله «أَبُو الرَّأْفَةِ» (٢كو١: ٣) يكون أقل تعاطفاً **ورأفة** – من البشر – بمن يستشهدون من أجله؟.. كلا بالطبع.

إنه يقدم لهم ما هو أسمى بمراحل من الخل الممزوج بالمرارة.. أو المسكر.. وفي الوقت نفسه يؤدي عمل المسكر.

ما هو؟

إنه ما يفرزه الجسم، انفعالاً لمواقف معينة، على راسها الانفعال برؤية المسيح في المجد متجلياً لهؤلاء الشهداء.

يخاطب الروح ملاك كنيسة سميرنا: «لاَ تَخَفِ الْبَتَّةَ مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ. هُوَذَا إِبْلِيسُ مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضاً مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا، وَيَكُونَ لَكُمْ ضِيقٌ عَشَرَةَ أَيَّامٍ» (رؤ٢: ١٠).

لا تخف: ومعروف أن الرب عندما يطلب شيئاً فإنه يعطي معونة للقدرة على تنفيذه.. فإن قال: «لا تخف»، ففي طيات هذه الكلمة إمداداً خفياً بالقدرة على تنفيذها.. قال لصاحب اليد اليابسة: ««مُدَّ يَدَكَ فَمَدَّهَا. فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى» (مر٣: ٥).. وقال للعازر «هَلُمَّ خَارِجاً فَخَرَجَ الْمَيْتُ» (يو١١: ٤٣، ٤٤).. مطيعاً لندائه.

«مِمَّا أَنْتَ عَتِيدٌ أَنْ تَتَأَلَّمَ بِهِ»: يعرف الرب (بالطبع) مقدماً، أبعاد هذا الألم العتيد.. وقد اختبره من قبل، ايام تجسده، له المجد، إذ قد جُرّب في كل شيء مثلنا بلا خطية – وقد أوضح أن الشيطان الذي ألقى «فِي قَلْبِ يَهُوذَا سِمْعَانَ الإِسْخَرْيُوطِيِّ أَنْ يُسَلِّمَهُ» (يو١٣: ٢) هو أيضاً من وراء هذا الألم، وهذا الضيق، لملاك وللمؤمنين في كنيسة سميرنا.. مستخدماً آلات بشرية، وسجون، ووسائل تعذيب فائقة.. وأوضح أن مدة الضيق محدودة.. إذ لن تزيد – رمزياً – عن عشرة أيام.. ربما في إشارة إلى العشرة المراسيم الإمبراطورية، التي توالى صدورها لتقنين الاضطهاد، والاستشهاد بصفة رسمية وقانونية.. أي بوضع المسيحي رسيماً وقانونياً تحت طائلة العقوبة التي تصل إلى الموت.. دون ذنب.. إلا تهمة أنه مسيحي.

لذلك فهناك نجدة فورية يقدمها الذي «رَكِبَ عَلَى كَرُوبٍ وَطَارَ وَهَفَّ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيَاحِ» (مز١٨: ١٠) لهذا المسكين المتألم.

ما هي؟.. سبقت الإشارة إلى أنها تجلي المسيح في المجد لهذا المتألم إلى درجة الموت.

السؤال الآن: ما الذي تحدثه **رؤية الشهيد للمسيح** في المجد.. وأية معونة تقدم

له من خلالها؟

الإجابة: هي فيما يحدث للكيان البشري نتيجة هذه الرؤية الاستثنائية.. **والانفعال** المصاحب لها.

ما الذي يحدث؟

سبقت الإشارة غلى أن هناك إفرازاً لمادة معينة، يتم في جسم الإنسان نتيجة هذا الانفعال.

ما هي؟

هي مادة «**الأندروفين**»[٧].. وهي مسكن فائق التأثير.. مخزون في غدة في الكيان البشري.. هي الغدة النخامية.. وهي تفرزه وقت حدوث بعض الانفعالات المعينة.

ولن يكون هناك انفعال أعمق من الانفعال البهيج، عند رؤية المسيح في المجد.. والفرح غير المنطوق به وقت معاينته.

إن الرسول بطرس يكتب لنا عن هذا الفرح غير المنطوق به لمجرد إيماننا بالمسيح دون العيان، بقوله: «ذَلِكَ وَإِنْ كُنْتُمْ لاَ تَرَوْنَهُ الآنَ لَكِنْ تُؤْمِنُونَ بِهِ، فَتَبْتَهِجُونَ بِفَرَحٍ لاَ يُنْطَقُ بِهِ وَمَجِيدٍ» (١بط١: ٨).. فكم يكون الحال عند رؤيته له المجد.

إن الخصي الحبشي ما أن آمن بالمسيح.. حتى «ذَهَبَ فِي طَرِيقِهِ فَرِحاً» (أع٨: ٣٩).

كذلك أليشع النبي وهو يرى المركبات النارية، والخيل النارية، تختطف سيده إيليا وتفصله عنه فيصعد إيليا في العاصفة.. ماذا فعل؟.. كان يصرخ «يَا أَبِي يَا أَبِي (حزنا)، مَرْكَبَةَ إِسْرَائِيلَ وَفُرْسَانَهَا (فرحاً)» (٢مل٢: ١٢).

وعن هذا الانفعال - عامة - نجد لاعب الكرة المصاب - على سبيل المثال - يواصل اللعب رغم إصابته،ذلك لأن فريقه منتصر.. فنشوة الانتصار ترسل إشاراتها إلى الغدة المذكورة، فتفرز هذه المادة؛ الأندروفين، فلا يشعر اللاعب بالألم ساعتها..

حتى إذا انتهت المباراة، وقع طريح الفراش.

ومثله الجندي المصاب في المعركة، إن كان جيشه منتصراً، انتشى، فسرت في عروقه هذه المادة، حتى أن إصابة لحقت به - ولو كانت بالغة - ما شعر بها.. وواصل جهاده.. حتى إن انتهت المعركة، سقط طعين الأحشاء.

إن إفراز الأندروفين في جسم الإنسان لن يكون - نتيجة رؤية المسيح في المجد - أقل وأضعف من أي مسبب آخر.. بأي حال.

والسؤال الآن: هل يمكن فعلاً رؤية المسيح في المجد؟.. الإجابة - بصفة عامة- نعم يذكر كاتب العبرانيين «يَسُوعَ، **نَرَاهُ** مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ» (عب٢: ٩).. ويكتب الرسول بولس: «وَنَحْنُ جَمِيعاً **نَاظِرِينَ** مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ» (٢كو٣: ١٨).. «وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي **لاَ تُرَى**» (٢كو٤: ١٨).. عجيب!.. **كيف نراها وهي لا ترى؟**.. لا ترى لأن عيوننا مبرمجة على رؤية المنظور.

الإجابة نجدها بالرجوع إلى موسى.. ودون الدخول في التفاصيل، نقرأ أنه «بِالإِيمَانِ.... تَشَدَّدَ، **كَأَنَّهُ يَرَى** مَنْ لاَ يُرَى» (عب١١: ٢٧).

ما المعنى؟.. **كأنه يرى**.. أي يدرك إدراكاً لا يقل عن الإدراك بسبب الرؤية.. فهو أدرك من يريد أن يراه، **كأنه يراه.. دون أن يراه**.. ذلك لأنه **لا يُرى**.. فهو إدراك يرتفع بصاحبه إلى درجة تعادل **الإدراك بسبب الرؤية**.

هكذا رؤيتنا للمسيح في المجد.. هي رؤيتنا له بالبصيرة.. وإدراكنا له بالقلب، إدراكاً لا يقل عن الإدراك بالرؤية.

هذا الإدراك يتم بمعونة الروح القدس، الذي يسمى في هذا الوقت؛ وقت الألم، «**رُوحَ الْمَجْدِ**».. كما يكتب لنا الرسول بطرس: «إِنْ عُيِّرْتُمْ بِاسْمِ الْمَسِيحِ فَطُوبَى لَكُمْ، لأَنَّ **رُوحَ الْمَجْدِ** وَاللهِ يَحِلُّ عَلَيْكُمْ» (١بط٤: ١٤).. وبالتالي فهو يأخذ مما **للمسيح في المجد** ويخبرنا (يو١٦: ١٤).

هذا بصفة عامة للجميع المؤمنين المتألمين من أجل المسيح.. إذ تتجلي بصيرتهم الروحية - بمعونة «روح المجد» - فيقف الواحد منهم على مناظر الرب.. فينتشي.. فتعمل غدة الأندروفين على إفرازه.. ولأنه مسكن فائق التأثير.. لا يشعر المتألم بأي ألم.

أما الشهداء فهم حالة خالصة.. هل يرون المسيح في المجد بنفس الطريقة المذكورة، التي يرى بها المؤمنون المسيح؟.. أي بالبصيرة فقط؟.. أم لأنهم حالة استثنائية لهم معاملة استثنائية، فيرون المسيح بالبصر أيضاً؟.. لا أعلم؟.. لكن الذي أعلمه أنهم يعاينون المسيح في المجد، بأي طريقة كانت.. فالنتيجة واحدة، وهي:

أولاً: نتيجة نفسية.. إذ يتولد لديهم يقين عميق، وإدراك أكيد بأن هذا الذي رأوه في المجد، هم الآن في طريقهم إليه.

ثانياً: نتيجة جسدية.. إذ تُفرز في أجسامهم مادة الأندروفين.. ضئيلة الكمية.. فائقة التأثير.. فيخف ألمهم.. إن لم ينعدم تماماً.

هل من دليل على أن هذا هو ما حدث للشهداء من أجل المسيح - ماضياً.. وما سيحدث مع غيرهم - مستقبلاً.

نعم.. هناك أربعة أدلة:

الديل الأول: الدليل الكتابي.

الدليل الثاني: الدليل التاريخي

الدليل الثالث: الدليل المنطقي

الدليل الرابع: التوثيق العلمي

الدليل الأول

الدليل الكتابي

الدليل الكتابي، هو ما حدث مع استفانوس ساعة رجمه.

ومعروف أن الرجم من أبشع أنواع الإعدام.. فآلامه رهيبة.. تصيب حجارته أجزاء الجسم بصورة عشوائية.. ليموت المرجوم.. بعد عذاب.. يطول أو يقصر.. حسب نوع ومكان الإصابة.

كان استفانوس يُرجم.. «فَشَخَصَ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ مُمْتَلِئٌ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ فَرَأَى مَجْدَ اللهِ وَيَسُوعَ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ. فَقَالَ: هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً وابْنَ الإِنْسَانِ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ»[٨] (أع٧: ٥٥، ٥٦).

أخبرنا أيها الشهيد الجليل، أي حالة نفسية كنت عليها، وأنت ترى المسيح في المجد؟.. وأي تأثير **عضوي** أدت إليه هذه الحالة؟.. أكنت ترى راجميك وقاتليك ظلماً وبغياً؟.. أم أن مجد المسيح حجب كل منظر سواه؟.. ووقت أن انهالت على جسدك الأحجار من كل حدب، أكنت تشعر بها؟.. أم أن منظر المسيح في المجد بعث قبساً من مخزون الأندروفين لديك، فسرى في عروقك.. حائلاً بينك وبين الألم.

وأن تسامح راجميك.. محبة منك لهم.. واقتداء منك بسيدك.. وتطبيقاً لقوله: «أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ» (مت٥: ٤٣).. فهذا هو المنتظر من مثلك.. أما أن تنشغل عن محنتك، وتصلي من أجلهم فهذا هو العجيب!! .. أما كان الأحرى بك أن تصلي أولاً من أجل نفسك وما تمر به.. ومن أجل فجيعتك، حتى تجتازها بسلام.. وإن لزم الأمر، تصلي من أجلهم بعد ذلك؟

وكأني به يرد علي: (أين هي آلامي ومحنتي ونفسي أنا لا أرى إلا المسيح في المجد.. ولا ألمس إلا وجوده.. ولا أدرك شيئاً سواه.. فلا الراجمون وأحقادهم.. ولا

الرجم وآلامه.. ولا شيء إلا هو.. فمنظره الخارق لحجب المنظور.. ومجده البارق من وراء الشمس.. حجب كل منظر سواه.. ألم تقرأ يا رجل (والكلام ما زال لاستفانوس) عن المشتكين الذين أتوا إلى الرب بامرأة «تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ» (يو٨: ٣).. طالبين رجمها.. «فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَداً سِوَى الْمَرْأَةِ قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ أَيْنَ هُمْ أُولَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟» (يو٨: ١٠).. لقد اختفوا في حضرته وتلاشوا أمامه.. ففي حضرته يختفي المشتكون.. ويغيب الراجمون.. إن حرفياً كما حدث مع هذه المرأة.. أو اختبارياً كما حدث معي.. والآن، حانت الساعة لأتركك.. لأطلب من الرب أن يقبل روحي (أع٧: ٥٩))

تركني.. ولم تتركني صورته.. كان وجهه يلمع كوجه ملاك (أع٦: ١٥).

ولوجود وجه شبه بين هؤلاء الشهداء وبين استفانوس ينشد قداسة البابا «**شنودة الثالث**»:

عجباً كيف صمدتهم للطغاة	في يقين أدهش الكون مداه
أي شيء حبب الموت لكم	هل رأيتم فيه **إكليل الحياة**
أم **بصرتم بيسوع واقفاً**	**في انتظار** فاستبقتم للقاه
أم تذكرتهم صليب الناصري	ونسيتم كل شيء ما عداه
أيما قد كان داع الموت لم	نستطع حسبانكم في المائتين
لم تموتوا أيها الأبطال بل	قد سكنتم في سماء الخالدين

الدليل الثاني

من تاريخ الكنيسة في عصر الاستشهاد

بعد استشهاد معظم الرسل.. وكثير من المؤمنين في القرن الميلادي الأول.. وما بعده.. دخلت الكنيسة في دور سميرنا (حتى ٣١٣م - رؤ٢: ٨- ١١).. وكقول الرب لملاك هذه الكنيسة «وَيَكُونَ لَكُمْ ضِيقٌ **عَشَرَةَ أَيَّامٍ**» (رؤ٢: ١٠).. فقد اجتازت في **عشرة** اضطهادات رسمية منظمة في عهد: نيرون - دومتيان - تراجان - ماركوس - سيفيروس - ماكسيان - ديوسيوس - فاليريان - أوريليان ثم ديوكليشان.. واضطهاد هذا الأخير هو أشدها هولاً ورعباً.. وقد دام **عشرة** أعوام.. قاسى المسيحيون في هذا الدور أشد وأنكى صفوف العذاب.. وصولاً إلى الاستشهاد.

والسؤال الآن: لماذا الاضطهاد؟.. يجيبنا الرب: «إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي **فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ**» (يو١٥: ٢٠).. ويجيبنا الرسول «جَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ **يُضْطَهَدُونَ**» (٢تي٣: ١٢).

لا مناص إذاً من الاضطهاد.. جهراً، وسراً.. رسمياً، أو شعبياً.

اضطهاد المسيحيين إذاً، هو لكونهم أتباع مسيح مُضطهَد، قبل أي شيء آخر.

فعلى سبيل المثال، كان **بلليني** حاكم بيثينية وبنطس، يسألهم: هل أنتم مسيحيون؟.. فإذا أجابوه بالإيجاب عوقبوا بالموت.. وقد كتب إلى الإمبراطور تراجان بهذا الخصوص: «**المسيحيون مصرون على التمسك بديانة لا تقرها قوانين الإمبراطورية (الرومانية)**».

كان يطلب من المسيحيين إذ ذاك أن يسجدوا لتمثال الإمبراطور.. وأن يقدموا ذبائح للآلهة الوثنية.. وإلا فلنقرأ قول الإمبراطور «أوريليوس» لـ «**جوستين**» الملقب بالشهيد: (**إن لم تطع هذا الأمر فلابد من التنكيل بكم بدون رحمة ولا شفقة**)..

فكان رد «جوستين» «إننا لا نرغب في شيء بإخلاص أكثر من رغبتنا في أن نحتمل أنواع التعذيب لأجل اسم الرب يسوع».. فكان نص الحكم: «إن الذين رفضوا أن يقدموا ذبائح للآلهة وأبوا أن يخضعوا لأوامر الإمبراطور يجلدون أولاً، ثم تقطع رؤوسهم.. الأمر الذي دعا الشهداء إلى أن يفرحوا ويسبحوا الله!!».. حدث هذا عام ١٦٥م.

أما **أغناطيوس** (٩٠ عاماً) المسئول عن كنيسة أنطاكية.. فنقرأ نص قضاء الإمبراطور «تراجان» عليه: (يحمل إلى رومية (من أنطاكية) ويطرح للوحوش المفترسة للترفيه عن الشعب).. فقابل «أغناطيوس» هذا الحكم القاسي بالارتياح، وقدم بكل سرور نفسه للقيود والأغلال.

وكان غرض الإمبراطور الخبيث، هو أن يسافر أغناطيوس هذه الرحلة الطويلة من أنطاكية إلى رومية، لبث الرعب والهلع في نفوس المسيحيين ممن يشاهدونه في الطريق إلى القتل.. ولكن كان للرب قصداً آخراً - من وراء الستار - وهو أن يشاهد أكبر عدد من الناس حال «أغناطيوس» وتهلله وفرحه - على عكس ما كان يُنتظر - فيكون هذا سبباً في إيمان الكثيرين بالمسيح.

ما الذي جعل أغناطيوس - ومثله آلاف الشهداء- يتهللون، وهم يقابلون الاستشهاد.

نقرأ الإجابة في قول «**أندرو مولر**»: (يسوع الذي رآه شاول الطرسوسي (بولس الرسول) مرة في المجد، هو نفسه (كمن سبق وظهر بالمجد).. كان لبولس عند استشهاده.. فالمسيح في المجد عند اهتداء شاول.. هو نفسه المسيح في المجد عند استشهاده.. هو نفسه المسيح في المجد كل حين.. «هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ» (عب١٣: ٨).. له كل المجد).

ويؤكد ما سبق أن أشرنا إليه من أن رؤية الشهداء للمسيح في المجد.. تخفف آلامهم.. إن لم تلغها.. هو ما كتبته كنيسة «سميرنا» إلى الكنائس المسيحية عن آلام

الذين كانوا أمناء إلى الموت: (لقد اثبتوا وحققوا لنا جميعاً أنهم وسط تلك الآلام كانوا غائبين عن الجسد أو بالحري كان الرب واقفاً معهم ومتمشياً في وسطهم، وإذ ألقوا رجاءهم على نعمة المسيح استهانوا بعذابات العالم).

غائبين عن الجسد.. كتبت هذه العبارة في القرن الثالث الميلادي، قبل اكتشاف الأندروفين بالطبعK وتأثيره على الكيان الإنساني.

ويضيف «أندرو مور»: (لا شيء يستطيع أن يقوي النفس على احتمال أشد أنواع العذاب وأفظع أهوال الموت، بهدوء ورباطة جأش، سوى الشعور (الإدراك) بحضور الرب.. وهذا هو الشيء الذي جعل آلافاً من المسيحيين يحتملون، بوداعة وارتياح وسرور، أقصى ما استطاعت قوات الظلمة فعله معهم مما بعث في قلوب الوثنيين المشاهدين عاطفة الشفقة والحنان عليهم).

ويتساءل **ترتليان**: (من الذي ينظر إلى هذه الأمور (أمور المسيحيين عامة وموقف الشهداء الثابت خاصة) ولا يتساءل عن السبب؟)

السبب نجده في قول الرسول بطرس موجهاً كلامه إلى المتألمين من أجل البر بأن كونوا: «مُسْتَعِدِّينَ دَائِماً لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ» (١بط٣: ١٥).

هذا السبب هو الرجاء الذي متى لمع، بشّر المؤمنين عامة، والشهداء خاصة، بنهايتهم الأبدية السعيدة.. فقبلوا الآلام بفرح.. وارتسم ذلك على وجوههم.

وهذا ما يؤيده الرسول بولس عن منظر الذين يساقون للموت من أجل المسيح.. كان منظرهم هذا دافعاً لمشاهدي حفلات تعذيبهم للتساؤل عن سبب الحبور الذي يشع من وجوههم، فقد كان منظرهم هذا.. وهم يقبلون على الموت، رافضين النجاة.. ناظرين- وراء حجب الغيب - إلى قيامة أفضل، دافعاً للبعض من هذه الجماهير المحتشدة، أن يدرك - بمعونة الروح القدس - أن رجاء المسيحي؛ أي المسيح في المجد، هو السبب.. فكان هؤلاء الذين تأثروا بمنظر الشهداء يندفعون - كما سبقت الإشارة - إلى الاعتماد

بالمعمودية المسيحية، باسم الآب والابن والروح القدس.. ليصبحوا مسيحيين.. ويتعرض بعضهم لشرف الاستشهاد.. وذلك لسبب الكرازة الصامتة، المتألمة الصابرة، لهؤلاء الشهداء.

من هنا كتب الرسول بولس: «فَمَاذَا يَصْنَعُ الَّذِينَ **يَعْتَمِدُونَ** (أي السابق ذكرهم من المشاهدين) مِنْ أَجْلِ الأَمْوَاتِ (أي الشهداء)؟» (١كو١٥: ٢٩)، أي بسبب منظر هؤلاء الشهداء.. الذين «عُذِّبُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا النَّجَاةَ لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ» (عب١١: ٣٥).. لقد رفضوا إنكار المسيح المؤدي إلى نجاتهم من الموت.. على رجاء نوالهم قيامة أفضل.. تسمى «قِيَامَةِ الْحَيَاةِ» (يو٥: ٢٩).. و «قِيَامَةِ الأَبْرَارِ» (لو١٤: ١٤).. و «الْقِيَامَةُ الأُولَى» (رؤ٢٠: ٥).. مما يدل، ويؤكد لنا صحة القول بأن منظر المسيح في المجد كان كافياً لبعث المسكن في كيانهم، وطفو البِشر على وجوههم.. حتى أن الرسالة من كنيسة سميرنا إلى الكنائس المسيحية - كما سبق ذكره - أشارت أنهم وسط تلك الآلام، كانوا **غائبين عن الجسد**.

ويضيف التقليد أن «دماء الشهداء روت بذرة الإيمان».. والمقصود أنها روت بذرة الإيمان المسيحي في قلوب المسيحيين حتى تنمو هذه البذرة.. والحقيقة تمتد لأكثر من هذا.. فدماء الشهداء كانت كارزة أيضاً بالإيمان المسيحي لدى الوثنيين.

وهذا هو الدليل التاريخي **القديم** المدعم بشهادة الكتاب (الدليل الأول؛ الكتابي).

ومن التاريخ **الحديث** (في القرن العشرين)، قرأت كتابين يؤيدان فكرة أن منظر المسيح في المجد كان يخفف آلام المتألمين.

الأول: للدكتور القس «**لبيب مشرقي**» - راعي الكنيسة الإنجيلية (سابقاً) بالملك الصالح - وعنوانه: «**الغروب البهيج**».. ويتكلم عن غلام في أسيوط - في منتصف القرن العشرين - اضطر الأطباء - لأسباب طبية - إلى بتر رجله دون مخدر.. وكان هذا الغلام يحب الرب يسوع ويثق فيه.. وساعة الجراحة الأليمة استطاع الغلام أن يتجلد - دون إحساس بمرارة الألم- فقد كان يعاين المسيح في المجد.

تقطيع

الثاني: إصدار جمعية خلاص النفوس - بعنوان «**تشارلي كولوسن**» - عن جندي مسيحي مؤمن، في الحرب الأهلية الأمريكية، يعمل طبالاً - لصغر سنه - في الجيش الأمريكي، اضطر طبيب يهودي أن يبتر قدم هذا الشاب بدون مخدر.. وكل ما فعله الشاب، أن كان يعض الوسادة أثناء الجراحة.

كانت النتيجة أن منظر هذا الشاب، وسكينته، وعدم تألمه - بالقدر الذي توقعه الطبيب - ونومه العميق ليلة إجراء الجراحة، كانت دافعاً لأن يبحث هذا الطبيب عن السر.. وإذ وجده في كلمات الشاب من أن المسيح في المجد هو السبب في تخفيف آلامه، آمن الطبيب اليهودي - بعد مدة - بالمسيح.. وكان الشاب المسيحي قد أعطى كتابه المقدس ليرسله الطبيب إلى أم الشاب.. ودوَّن فيه خلاصة اجتيازه العملية.

وبعد حوالي عشر سنين من تلك الواقعة كان الطبيب اليهودي - بعد أن أصبح مسيحياً - حاضراً أحد الاجتماعات.. فقامت أرملة عجوز - كانت قد سبق أن استأصلت إحدى رئتيها.. والأخرى في الطريق - تقص اختبارها واختبار ابنها الجندي.. وهي تمسك بالكتاب المقدس الذي أرسله لها ابنها في الميدان قبل موته.. فوقف أحد الحاضرين، وقال لها أنا هو الطبيب الذي أجرى الجراحة لولدك.. وأيد شهادتها.. مضيفاً أن ولدها هو من اقتاده إلى المسيح.. ثم كتب الطبيب هذا الكتاب المذكور.. وكان «**تشارلي كولسون**» هو هذا الشاب.

وشخصياً أعرف غلاماً آخر.. كان لديه عدة «خراريج» في صدره.. أجرى له الدكتور «فخري حنا» - شقيق خادم الرب المعروف «ناشد حنا» - جراحة له - دون مخدر - كل ما يذكره الغلام الآن عن هذا الوقت، أنه كان يشعر بضيق في التنفس فقط.. دون أي ألم من مشرط الجراح.. لقد كان الغلام وقتها يكاد يرى المسيح، ويمسكه بيده.. وهو راقد على السرير ونظره مرفوع لأعلى.

شهداء كثيرون على مر التاريخ يذخر بهم التاريخ الكنسي.. ومن أكثر من لاقوا عذاباً، هو القديس «**يعقوب المقطع**».. ويقول التقليد، أنه عندما بدأ إعدامه عن طريق

تقطيع أطرافه «ظهر له السيد المسيح فعزاه وقواه فابتهجت نفسه».

الدليل الثالث

الدليل المنطقي

يمكن أن نصنفهم الذي من البديهي، والمنطقي، أن الذين يمكن أن نضعهم بين من «لَمْ يُحِبُّوا حَيَاتَهُمْ **حَتَّى الْمَوْتِ**» (رؤ١٢: ١١) - بل ضحوا بها من أجل المسيح - لا يكونون أفضل من الرب نفسه الذي ضحوا من أجله.. وهو من سبق أن ضحى من أجلهم.. **حتى الموت** موت الصليب (في٢: ٨).

فإن كانوا قد أعطوه راحتهم من خلال السجن.. وأمنهم من خلال الاضطهاد.. وأجسادهم من خلال التعذيب.. وحياتهم من خلال الاستشهاد، كآخر ما يمتلكون.. مضحين بالكل على المذبح - معنوياً وحرفيا - فهل كثير على الرب أن يعطيهم - لا مكافأة في المجد فقط - كما سبق ذكره - بل راحة وسلاماً.. سكينة وتسكيناً.. عندما كانوا يقدمون ذواتهم قرباناً إليه.

وهل تكون كل مهمة الرب هي مجرد انتظارهم في الفردوس.. وتركهم يقومون بكل مهمة السفر إليه.. بدءاً من الاضطهاد والسجن.. ووصولاً إلى الاستشهاد والموت.. وبعد ذلك يكافئهم؟

كلا.. بالطبع.. لأنه «مَنْ تَجَنَّدَ قَطُّ بِنَفَقَةِ نَفْسِهِ؟» (اكو٩: ٧).. أيكونون جنوداً للمسيح حتى الموت.. ويدفعون نفقة وصولهم إليه.. ثم بعد ذلك يبدأ عمله معهم بأن يكافئهم، بعد أن يصلوا؟.. كلا بالطبع.

إنه يقدم لهم الوسيلة التي يوصل بها السكينة إلى قلوبهم.. والتسكين لألمهم، خلال رحلتهم إليه.. وهي شيء يسير جداً بالنسبة إليه.. لكنه كل شيء بالنسبة لهم.. إنها فتح عيون أذهانهم.. وبصيرة قلوبهم.. وربما بصرهم أيضاً.. لكي يروه في المجد.. وهل هذا عسير على الرب؟

ولست أشك لحظة أن الرب قد متع - لا أقول شهداءنا .. بل - شهداءه لحظة استشهادهم، بكل ما سبقت الإشارة إليه.. فسكنت نفوسهم.. وتسكنت أجسادهم.

وهناك من بين شهداء المنيا - موضوع حديثنا - من نطق بمثل عبارات استفانوس لحظة استشهاده.. ومن نطق بمثل عبارات اللص على الصليب.. ومن كان ينادي سيده يسوع.

كلها كانت مناجاة لشخص.. يعاينونه بالبصيرة (أو البصر.. لا أعلم).. ويدركونه بالقلب.. ويلمسون مجده بالكيان كله.

يعاينونه بالبصيرة.. فيطمئنون.

ويدركونه بالقلب.. فيبتهجون.

ويلمسون مجده بكيانهم الجسدي الهش المسكين.. فيسري مخدر المجد الرائع في أجسادهم فلا يشعرون بألمهم.

لقد رأوا **ما وراء الطبيعة** .. فجاءت حالتهم **مخالفة للطبيعة**.. فيراهم من يراهم بانبهار ودهشة.. كمن يرى شيئاً من «**غرائب الطبيعة**».

أما من استنار ذهنه من المشاهدين، فقد أدرك بدوره سبب الرجاء.. وربما اعتمد هو أيضاً «مِنْ أَجْلِ الأَمْوَاتِ» (١كو١٥: ٢٩).

الدليل الرابع

التوثيق العلمي

كتب الدكتور «**ألن هيرش**»، وهو مدير لمؤسسة للشم والذوق في شيكاغو، عن «**أندروفين بيتا**» زائد هرمون «ACTH» وقدرتهما على التسكين.

أما الدكتور «**جويل فورمان**» (أمريكا)، في كتابه «كل لتعيش»، كتب أن الشعور الإيجابي يفرز هذا **الأندروفين**.

إضافة إلى ذلك فقد كتب مدير مركز «**ويك فورست**» الطبي (المعمداني، أن الأشعة فوق البنفسجية تساهم في إفراز الأندروفين.. والذين يستقبلون الصباح في الهواء الطلق يكونون أكثر سعادة، بسبب هذه الأشعة.

وتعليقاً على قطع رؤوس شهداء المنيا الواحد والعشرين، كتب العلامة الدكتور «**محمد المخزنجي**».. في جريدة المصري اليوم بتاريخ ٢٥ فبراير ٢٠١٥.. عن مادة **الأندروفين المخدرة** التي تفرزها غدة في جسم الإنسان.. وكتب أنه لا يتوقف وجود هذه المادة على الجسم البشري فقط.. بل إن «الخالق الرحيم» - حسب تعبير سيادته - زود بها خلائقه التي تتعرض للقتل (الافتراس) في عالم الحيوان.. حفاظاً على التوازن البيئي بين الأنواع[٩].

فكتب سيادته ما نصه: (كل عمليات القتل التي تتم في أمة الحيوان.. لأنها تهدف إلى المحافظة على التوازن بين الأنواع حتى لا يطغي بعضها على البعض تتم (أولاً) بسرعة فيها رحمة قدرها أرحم الراحمين.. وشفعها (ثانياً) بتسكين مذهل للضحية.. ففور الضربات، أو القضمات القاتلة الأولى، يتدفق في جسم الفريسة فيض من «الأندروفينات» أفيونات الجسم الطبيعية، هائلة التسكين، تحيل ألم الاحتضار برداً وسلاماً، رغم ظاهر الوحشية في عملية الافتراس).

وأضاف سيادته: (وهو ما أرجح أن ضحايا الذبح (قاصداً شهداء المنيا) والحرق، أحسوا به رغم قسوة وبشاعة الحرق والذبح، وأيا ما تبتكره المخيلات الشيطانية للقتلة، تنكيلاً بخلق الله، وتشويهاً لكريم إبداعه).

هذا عما يحدث في عالم الحيوان.. وهو أمر عجيب!.. إلا أن الأعجب هو ما يحدث أيضاً في عالم الحشرات.. بنفس الكيفية.

فالخالق الرحيم يهمه أمر حشرة صغيرة، عليها أن تموت بقطع رأسها، حتى تستطيع حشرة أخرى أن تواصل دورة حياتها.

هل الله تهمه الحشرات؟.. بالطبع.. **فمنطقياً:** أليس هو خالقها.. واضعاً فيها الإحساس بالألم؟

وكتابياً: نقرأ: «اذْهَبْ إِلَى النَّمْلَةِ أَيُّهَا الْكَسْلاَنُ» (أم٦: ٦).. فيما يحيلنا إلى التأمل في أعمال عنايته بهذه الحشرة المتناهية الصغر، في هذا الكون الفسيح.

وقد طبق الدكتور «**المخزنجي**» – بدافع علمي – هذه الوصية.. فجعل يتأمل نوعاً من النمل، هو النمل الناري.. وكيف أن نوعاً من الذباب الأحدب يتطفل عليه.. فكتب: (ولكن هذا التطفل يكون متبدياً في صورة نادرة من الوحشية والقسوة في مملكة الحيوان.. إذ لا يكتفي بتطفل يرقاته على أحشاء النمل المصاب وهو حي، بل يقطع رؤوسه).

ويضيف سيادته: (لقد حيرتني الذبابة الحدباء قاطعة الرؤوس هذه على امتداد ما يقرب من ستة أشهر، بعدها تداعت سيرتها إلى خاطري بمواكبة (بمناسبة) عمليات قطع الرؤوس التي طلعت علينا....)

والسؤال (الأول): لماذا تتطفل الذبابة الحدباء على النملة النارية؟.. والإجابة كما يقول سيادته: «أن الفطرة هناك (في عالم الحيوان) لا تزال محتفظة بتصميمها «الأصلي» للمصمم الأعظم رب العالمين، محكومة بالاحتياجات المحددة لتعيش هذه الكائنات.. متوسط أعمارها المقدورة، دون تمديد مفتعل، ولا قصف جائر.... وراح

يشغلني السؤال (الثاني): لماذا تقطع الذبابة الحدباء رأس النملة النارية التي تتطفل عليها.. ولا تكتفي بالتغذي على أحشائها كما تفعل قريبتها (ذبابة حدباء من فصيلة أخرى) مع نحل العسل (بجعله يصاب بالجنون ويتحول إلى زومبي).

ودون الدخول في تفاصيل علمية شرحها سيادته، أجاب بما معناه: أن يرقة الذبابة الحدباء تصل إلى رأس النملة لتتغذى عليها.. وفي تلك الأثناء تفرز أنزيماً يذيب الأغشية التي تصل رأس النملة بعنقها.. فتنفصل **بنعومة (دون ألم)**.. حاملة اليرقة، التي تتخذ من محفظة رأس النملة المقطوع حماية (تتمرس داخلها).. دون أن تجشم نفسها عناء تخليق قشرة الكيتين الصلبة.

وبعد انفصال رأس النملة عن جسدها.. تظل يرقة الذبابة الحدباء **(تتغذى على المخ حتى تنتهي منه وتتحول بمكانه إلى عذراء.. ثم حشرة مكتملة.. لتخرج في النهاية من الفم المتصدع.. للرأس المقطوع).**

ما زال السؤال إذاً.. ما الغرض من قطع رأس النملة.. الإجابة.. كما علق سيادته هي واحدة من ثلاث:

١- إما، لتحملها الريح (أو فراء حيوان تتعلق به).. بعيداً لتضمن انتشاراً أوسع.

٢- وإما، لأن النملة المصابة تتحامل على نفسها - قبل انفصال رأسها - وتتعكز على أرجلها، وصولاً إلى العش.. ثم تنفصل رأسها.. فتجمع الشغالات الرؤوس المقطوعة، وتلقيها خارج العش.. وهو إجراء يضمن ليرقات الذبابة - داخل الرؤوس المقطوعة - خروجاً آمناً من عش النمل.

٣- وإما أن يكون هذا أثر جانبي لما تفرزه اليرقة من إنزيم، يهدف إلى استقرارها في الرأس.. وفي الوقت نفسه يذيب هذا الإنزيم الأغشية - دون قصد- التي تصل رأس النملة بجسدها (فلا تتألم).. دون أن يكون للذبابة هدف من قطع رأس النملة.

أياً كان غرض قطع رأس النملة، فهو في كل الأحوال يتم **بنعومة ودون ألم**.. ولغرض حكيم، رتبه الخالق.. وليس لغرض إجرامي، أو هدف شرير.

والخلاصة: أن الخالق **الحكيم** .. هو أيضاً **رحيم** – في الوقت نفسه – بخلائقه.. فيخفف آلام الفريسة – **بالأندروفين** – أثناء افتراسها.. ويخفف ألم الحشرة مقطوعة الرأس – **بالإنزيم**.

فهو وإن كان قد وضع قانوناً للاتزان الطبيعي **لأنه حكيم** – بما فيه من قتل **مشروع** لإيجاد نسبة مقرورة للاتزان البيئي – فقد جهز خلائقه لتتحمل هذا القتل بوسيلة، أو بأخرى.. ذلك لأنه أيضاً – في الوقت نفسيه – **رحيم**.. ليس فقط بعباده.. بل أيضاً بكافة خلائقه.. فكل صفاته – من **حكمة ورحمة** .. إلخ – تتكامل معاً في تناغم فريد.

حقاً «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ» (مز ١٠٤: ٣٤).. **هنا الحكمة.**

«الْمُنْبِتُ عُشْباً لِلْبَهَائِمِ.... تَشْبَعُ أَشْجَارُ الرَّبِّ أَرْزُ لُبْنَانَ.... حَيْثُ تُعَشِّشُ هُنَاكَ الْعَصَافِيرُ. أَمَّا اللَّقْلَقُ فَالسَّرْوُ بَيْتُهُ. الْجِبَالُ الْعَالِيَةُ لِلْوُعُولِ. الصُّخُورُ مَلْجَأٌ لِلْوِبَارِ. صَنَعَ الْقَمَرَ لِلْمَوَاقِيتِ. الشَّمْسُ تَعْرِفُ مَغْرِبَهَا. تَجْعَلُ ظُلْمَةً فَيَصِيرُ لَيْلٌ. فِيهِ يَدِبُّ كُلُّ حَيَوَانِ الْوَعْرِ. الأَشْبَالُ تُزَمْجِرُ لِتَخْطُفَ وَلِتَلْتَمِسَ مِنَ اللهِ طَعَامَهَا. تُشْرِقُ الشَّمْسُ فَتَجْتَمِعُ وَفِي مَآوِيهَا تَرْبِضُ. الإِنْسَانُ يَخْرُجُ إِلَى عَمَلِهِ وَإِلَى شُغْلِهِ إِلَى الْمَسَاءِ.... مَلآنَةٌ الأَرْضُ مِنْ غِنَاكَ. هَذَا الْبَحْرُ الْكَبِيرُ الْوَاسِعُ الأَطْرَافِ. هُنَاكَ دَبَّابَاتٌ بِلاَ عَدَدٍ. صِغَارُ حَيَوَانٍ (بحري) مَعَ كِبَارٍ. هُنَاكَ تَجْرِي السُّفُنُ. لَوِيَاثَانُ هَذَا خَلَقْتَهُ لِيَلْعَبَ فِيهِ. كُلُّهَا إِيَّاكَ تَتَرَجَّى لِتَرْزُقَهَا قُوتَهَا فِي حِينِهِ. تُعْطِيهَا فَتَلْتَقِطُ. تَفْتَحُ يَدَكَ فَتَشْبَعُ خَيْراً» (مز ١٠٤: ١٤ – ١٨& ٢٥ – ٢٨) **هنا الرحمة.**

هل الإنسان أقل من عصفور.. أو نملة.. فلا يتمتع **بحكمة الخالق، ورحمة المحب**؟.. يجيبنا الرب «أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ» (مت١٠: ٣١ & لو ١٢: ٧).

فإن سمح الرب لشهدائه أن يكونوا فريسة **لتوحُش البشر**.. فهل من المعقول أن يتركهم فريسة **لتغوُل الألم**.. محتملاً كان.. أم غير محتمل؟

أيها الخالق **الحكيم**.. الفادي **الرحيم**.. ألا فتحت عيون إيماننا.. وأنرت بصائر

قلوبنا.. لنعاين قبساً من مجدك.. بقدر ما يحتمله كياننا.. ليس طلباً لمسكن لآلامنا.. ولا استجلاباً لمخدر لأوجاعنا – مع أنه حادث لا ريب– لكن **لهفة** لرؤياك.. **وشوقاً** لمحياك.. حتى إن طال انتظارنا لمجيئك، بتنا على هذه المناظر المجيدة.. قابضين على هذه الصور الفريدة.. **معاينين المجد، قبل الوصول.. وبالغين السماء قبل الدخول.**

وفي هذا يقول أحد الشعراء (غالبا صوفي):

أرى الناس من حولي ... شخوصاً غريبة
وكل غريبٍ حين ... تأتي لا يحضر

وأضيف من عندي:

أرى الدنيا من حولي ... خيالاً وقبض ريحٍ
نهاراً إلى زوال ... وليلاً سيعبر

تبدل أكواناً ... كثوب تقادم
وبالسلطان مثل ... رداء تغير

فتُطوي السماوات ... والأرض تنمحي
ومجدك إذ ذاك ... مستعلناً يَظْهرُ

وشخصك إذ يبقى ... إلى الدهر كائناً
كَ «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ» ... وبالمجد يُبهرُ

وبيتك في قلبي ... وتلك عجيبة
فسمت السماء عن ... كرسيِّك يصغر

وإذ تتجلي ربي ... أمام بصيرتي
أغيب عن المنظور ... والقلب يطفر

وطيفك ما أشهى ... رؤاه لناظري
شموس مضيئة ... وصبح منور

ألا أقبل سجوداً من ... غريب مراقب
مجيئك يوماً أو ... إليك يسافر

الأهالي

ما هو موقف **أهالي الشهداء**، وهم يرون أبناءهم، وذويهم يساقون للموت بغياً، دون ذنب جنوه، سوى أنهم مسيحيون.

هل كانوا يدركون ما أشرنا إليه من **مكافآت** للشهداء في المجد.. أو **معونة** إلهية فورية، مقدمة لهم.. خلال استشهادهم.

وما هو تصنيف الكتاب لهم؟.. وهل هم أيضاً لهم معونة تقدم، حتى يتحملوا ما لم أستطع تحمل رؤيته – في الشريط التلفزيوني المسجل لعملية ذبحهم – وقت أن فتحت الأرض فاها شارية دمائهم (تك٤: ١١).. ووسع البحر حضنه مصطبغاً بصبغة سيِّدهم (مت٢٠: ٢٢ & لو١٢: ٥٠).

مما لا شك فيه، فإن الكتاب يصنفهم – ويضعهم – مع الواقفات عند صليب يسوع.. مشاهدات، بكل أسى ولوعة، صلب سيدهم وحبيبهم (يو١٩: ٢٥).

أي ألم كان يعتصر مطوبة الأجيال «**العذراء مريم**»، وهي ترى ابنها (حسب الجسد) يسوع، معلقاً متألماً.. يعاني سكرات الموت الجسدي.. ينزف دماً.. في عملية قتل بطيء.. منفصلة كل عظامه (مز٢٢: ١٤).. ذائباً كالشمع قلبه (الشاهد السابق).. يابسة مثل شقفة قوته (مز٢٢: ١٥).. إلى آخر ما يمكن أن يتصوره إنسان من آلام؟

لقد سبق أن أنبأها سمعان (الشيخ) – عندما أخذ منها الصبي يسوع على ذراعيه– بأنه «أَنْتِ أَيْضاً يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ **سَيْفٌ**» (لو٢: ٣٥).. قاصداً سيفاً معنوياً.. هو ما اعتمل في نفسها عند صليب ابنها.

هذا **السيف (المعنوي) نفسه**، هو ما اجتاز في نفوس أهالي الشهداء.. عندما

كان السيف الحرفي يضرب أعناق أولادهم وذويهم.

وإن كان الرسول بولس قد لُطم بالشوكة.. فإن المطوبة العذراء مريم، ومثلها أهالي الشهداء، قد عانوا مما هو أشد وأمر من الشوكة؛ ألا وهو **السيف**.

إلا أنه كما كانت للشهداء معونة مجزلة لهم أثناء استشهادهم، فإن هناك أيضاً معونة مجزلة لذويهم أثناء مشاهدتهم.. وما بعد ذلك.

ما هي؟ .. إنها النعمة أيضاً.

والسؤال الآن: هل تتساوى النعمة المعطاة لحامل الشوكة، مع النعمة المجزلة لطعين السيف؟

كلا بالطبع.. بل على قدر التجربة تكون المعونة.

لذلك فإن النعمة المجزلة للأهالي.. تختلف عن النعمة المعطاة لحامل الشوكة.

والسؤال الآن: هل للنعمة أنواع؟.. الإجابة: هي في **جوهرها واحد**.. لكن في إجزالها، فإنها تتفق مع الحاجة.. فإن كانت الحاجات متنوعة، فإن النعمة في المقابل هي «**نِعْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ**» (١بط٤: ١٠).. وإن كانت الاحتياجات متعددة، فإن الله هو إله «**كُلِّ نِعْمَةٍ**» (٢بط٥: ١٠).. فالنعمة **متعددة نوعياً.. ومتكاثرة ومتفاضلة كمياً.. وواحدة جوهراً**.

لذلك يخبرنا الرسول بولس – مستقبِل النعمة الكافية (٢كو١٢: ٩) – عن نعمة أخرى يسميها «نِعْمَةِ اللهِ الْفَائِقَةِ» (٢كو٩: ١٤).. وهي التي تمتع بها أهل كورنثوس، فدفعهتهم إلى التضحية بسخاء، لسد أعواز القديسين في مكدونية.. أو –بمعنى آخر– أجزلت لهم من أجل تضحيتهم.

كم بالأحرى إذاً تجزل هذه النعمة الفائقة لمن يضحي – لا بماله فقط – بل بأبنائه وأهله.

لذلك إن كانت النعمة المقدمة لحامل الشوكة هي نعمة كافية (٢كو١٢: ٩)

فإن النعمة المقدمة لطعين السيف (المعنوي) كأهالي الشهداء، هي نعمة فائقة (٢كو ٩: ١٤).

أثناء زيارتي لأهالي الشهداء هؤلاء، في قراهم في محافظة المنيا- بعد الحادث مباشرة - وجدت ما لا يستطيع القلم وصفه من سلام عجيب.. وتسليم رائع.. وثقة متناهية.. بدت في ملامحهم.. وكلماتهم.. ويقينهم.. ورجائهم.. ربما دون دراسة وافية منهم لكلمة الله.. لكنها «النعمة الفائقة» التي تجزل - لا بحسب الاحتياج الإنساني فقط، بل بحسب الغنى الإلهي في المجد (في٤: ١٩).

حالة واحدة لأرملة شابة - ربما من الصدمة - أبت أن تتعزى عن زوجها - كـ «راحيل» (إر ٣١: ١٥) - لأنه لم يعد موجوداً.

الدم

دم الشهداء

يقدر الناس قيمة الدم.. ويقولون.. «الدم لا يصبح ماءً».. بمعنى أن دم القتيل إن تُرك بدون ثأر للقتيل، تساوى مع الماء.

والحكومات، فلأنها «مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ» (رو١٣: ١)، فهي تنتقم لدم القتيل.. ولو بإعدام القاتل.. كقول الرسول أن الحاكم «**خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ**.... لاَ يَحْمِلُ **السَّيْفَ** عَبَثاً إِذْ هُوَ خَادِمُ اللهِ مُنْتَقِمٌ لِلْغَضَبِ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُ الشَّرَّ» (اكو١٣: ٤).

أما الله فهو، قبل هذا وذاك، **يطالب** بالدم؛ دم الإنسان.. لماذا؟.. «لأَنَّ اللهَ عَلَى **صُورَتِهِ** عَمِلَ الإِنْسَانَ» (تك٩: ٦).. لذلك فالعدوان على الإنسان، هو عدوان على الله، الذي عمل الإنسان على صورته.

ويطالب الله بدم القتيل – بوسيلة انتقامية، أو بأخرى – من ثلاث فئات قاتلة

١– من الحيوان القاتل.

٢– من الإنسان القاتل.

٣– من المدينة القاتلة.

نعم حتى المدينة، إن هي صادقت – من خلال ممثليها – على سفك دم الأبرياء، هي الأخرى يطالبها الله بهذا الدم!

أولاً: طلب الله دم الإنسان من **الحيوان**، نقرأ عنها في قول الله: «وَأَطْلُبُ أَنَا دَمَكُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَقَطْ. مِنْ **يَدِ كُلِّ حَيَوَانٍ** أَطْلُبُهُ» (تك٩: ٥).. هل يفهم الحيوان، أو يعقل

حتى يُطالَب بدم الإنسان؟.. ليس بالضرورة أن يُعمل فهمه أو عقله، فيمتنع عن افتراس الإنسان، بل عليه بالغريزة التي وضعها الله فيه ألا يقترب من الإنسان.. كيف؟.. يقول الله لنوح وبنيه (وللبشر عامة) «.... **وَلْتَكُنْ خَشْيَتُكُمْ وَرَهْبَتُكُمْ** عَلَى كُلِّ حَيَوَانَاتِ الأَرْضِ وَكُلِّ طُيُورِ السَّمَاءِ مَعَ كُلِّ مَا يَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ....» (تك٩: ٢).. فهناك إذاً إشارة مرور حمراء – بالغريزة – أمام الحيوان.. عليه أن يحترمها، فلا يتقدم ليؤذي الإنسان.. وإلا فإن الله سيطلب دم هذا الإنسان من هذا الحيوان.

ثانياً: طلب الله دم الإنسان من **أخيه الإنسان**، نقرأ عنها في قول الله: «**مِنْ يَدِ الإِنْسَانِ** أَطْلُبُ نَفْسَ الإِنْسَانِ مِنْ **يَدِ الإِنْسَانِ أَخِيهِ**. سَافِكُ دَمِ الإِنْسَانِ بِالإِنْسَانِ يُسْفَكُ دَمُهُ» (تك٩: ٥، ٦)؟.. وهذا القانون تم وضعه بعد خروج نوح من الفلك عام ١٦٥٧ (مقاساً من بدء عمر آدم).

لكن ماذا عن الفترة السابقة لنوح.. وفيها «قَايِينَ قَامَ عَلَى هَابِيلَ أَخِيهِ وَقَتَلَهُ» (تك٤: ٨).. وغير ذلك من جرائم القتل قبل الطوفان.. المرجح قيام الجبابرة الأشرار بها (تك٦: ٤، ٥).

هل يضيع دم هابيل – وغيره – تحت التراب، ما دام القانون المذكور قد وضع بعد قتله بأكثر من خمسة عشر قرناً.. أم يطبق بأثر رجعي على من كان حياً من القتلة السابقين لوضعه.

لا هذا ولا ذاك.. لأن القاون وإن كان لا يطبق على أفعال سابقة لوضعه.. إلا أن واضع القانون نفسه، الله، له الماضي والحاضر والمستقبل.. وهو ضابط الكل.. ومشرّع كل القوانين.

لذلك نقرأ قول الله لقايين بعد أن قتل هابيل: «صَوْتُ **دَمِ أَخِيكَ** صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. **فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ!** مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَائِهاً وَهَارِباً تَكُونُ فِي الأَرْضِ» (تك٤: ٨ – ١٠).

وأيضاً قول الرب يسوع موجهاً إلى الكتبة والفريسيين: «.... تَشْهَدُونَ عَلَى

أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ. فَامْلأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ. أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ لِذَلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ **لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا**....» (مت٢٣: ٣١، ٣٤، ٣٥).. مما يؤكد لنا أن دم هابيل لم يضع هدراً.

ثالثاً: طلب الله دم الإنسان **من المدينة** التي يصادق مسئولوها على سفك دم أبرياء فيها.

وهذا نراه في «**شريعة القتيل**» (تث٢١).. وعنها نقرأ: «إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الأَرْضِ الَّتِي **يُعْطِيكَ** الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَمْتَلِكَهَا وَاقِعاً فِي الْحَقْلِ لا يُعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ يَخْرُجُ شُيُوخُكَ وَقُضَاتُكَ وَيَقِيسُونَ إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَ الْقَتِيلِ. **فَالْمَدِينَةُ الْقُرْبَى مِنَ الْقَتِيلِ** يَأْخُذُ شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ عِجْلَةً مِنَ الْبَقَرِ.... (إلى آخر الطقس الناموسي المذكور).. وَيَقُولُونَ: أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ **هَذَا الدَّمَ** وَأَعْيُنُنَا لَمْ تُبْصِرْ. اغْفِرْ لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الذِي فَدَيْتَ يَا رَبُّ وَلا تَجْعَل دَمَ بَرِيءٍ فِي وَسَطِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ. **فَيُغْفَرُ لَهُمُ الدَّمُ**. فَتَنْزِعُ الدَّمَ الْبَرِيءَ مِنْ وَسَطِكَ....» (ع١ – ٩).

يبرئ شيوخ تلك المدينة أنفسهم.. ويبرؤون **مدينتهم** من ذنب هذا الدم البريء.

ماذا إذاً عن موقف شيوخ أورشليم، وكهنتها، وكتبتها، من دم المسيح.. لا هم برأوا أنفسهم.. ولا برأوا مدينتهم أورشليم.. بل طالبوا بأن يقع الذنب لا **عليهم** وعلى **مدينتهم** فقط.. بل **وعلى أولادهم** أيضاً.. بقولهم عند صلب يسوع: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى **أَوْلاَدِنَا**» (مت٢٧: ٢٥).

كذلك فعليهم وعلى **مدينتهم**، وقع ذنب هذا الدم.. وتم فيهم قول الرب «**يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ** وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. **هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً!**» (مت٢٣: ٣٧، ٣٨).. «فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكِ أَعْدَاؤُكِ بِمِتْرَسَةٍ وَيُحْدِقُونَ

بِكِ وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَراً عَلَى حَجَرٍ» (لو ١٩: ٤٣، ٤٤).. «لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجاً عَنْ أُورُشَلِيمَ» (لو١٣: ٣٣).

وقد تمت هذه النبوة حرفياً **عليهم** عام ٧٠م، عندما غزا الرومان أورشليم، وما حولها.

وعلى أولادهم – كما طلبوا – سيقع ذنب هذا الدم في المستقبل بيد ملك الشمال؛ الأشوري، **وسيخرب أرضهم كلها** – لا أورشليم فقط – فتكون «**الأَرْضُ** قُدَّامَهُ كَجَنَّةِ عَدْنٍ وَخَلْفَهُ **قَفْرٌ خَرِبٌ** وَلاَ تَكُونُ مِنْهُ نَجَاةٌ» (يؤ٢: ٣).. ذلك لأن عقوبة القتل تمتد أيضاً إلى **المدينة، وإلى الأرض** التي شربت – بموافقة أهليها – دم أبريائها.

وأنه لأمر مدهش – أن يصل الضمير الإنساني – دون استخدامه الكتاب المقدس – إلى تحميل وزر دم الأبرياء – لا إلى أشخاص فقط – بل إلى **دول.. ومدن.**

وفي هذا يكتب المفكرون والحقوقيون وغيرهم.. كما كتب أمير الشعراء.. منددا بفرنسا.. وبالمذبحة التي ارتكبتها في دمشق:

سلام من صبا بردى أرقُّ   ودمع لا يكفكف يا دمشق
رماك بطيشه ورمى فرنسا   أخو حرب به صلف وحمق
دم الثوار تعرفه فرنســا   وتعـلم أنه نـور وحـــق

ومع التحفظ على بعض ألفاظ هذه القصيدة، فإنها تتفق مع نفس المبدأ الكتابي وهي أن المدينة، أو الدولة، مسئولة أيضاً عن دم الأبرياء طالما صادق مسئولوها على هذا الذنب.

وكما سبقت الإشارة، فإن دم الإنسان ثمين لدى الله، لأنه مخلوق على صورة الله، هذا من ناحية.. إلا أنه من الناحية الأخرى فهو أيضاً ثمين.. لأن الدم **ملك الله**.. لأن فيه النفس.. لأن «نَفْسَ الْجَسَدِ هِيَ فِي الدَّمِ» (لا١٧: ١١).. ولأن «الدَّمَ يُكَفِّرُ عَنِ النَّفْسِ» (الشاهد السابق).. فحياة الإنسان، ممثلة في دمه، هي ملك لله.

وكما أن نفس الإنسان في دمه.. كذلك نفس الحيوان في دمه.. لذلك عندما

أعطى الله الإنسان – ممثلاً في نوح – أن يأكل كل دابة حية، نصَّ بقوله: «غَيْرَ أَنَّ **لَحماً بِحَيَاتِهِ دَمِهِ لاَ تَأْكُلُوهُ**» (تك٩: ٤).

ونفس الفكر، اتفق عليه الرسل والأنبياء، في مجمع أورشليم، فأرسلوا إلى المؤمنين في إنطاكية، قائلين: «أَنْ تَمْتَنِعُوا عَمَّا ذُبِحَ لِلأَصْنَامِ **وَعَنِ الدَّمِ** وَالْمَخْنُوقِ وَالزِّنَا» (أع١٥: ٢٩).

ونلاحظ أن طلب الامتناع عن **أكل الدم**، يسبق طلب الامتناع عن **الزنا**.

فإن أضفنا إلى دم هابيل – أول القتلى الأبرياء – دماء الأنبياء بعده.. ثم دم المسيح – بالترتيب التاريخ – ثم دم شهداء يسوع، منذ بدء المسيحية وحتى الآن.. إضافة إلى القتلى الأبرياء من كل جنس وعقيدة، نجد أن **القضاء قادم**.. لا ريب في ذلك.

فأمام الديان العادل – مستقبلاً – سيستد كل فم (رو٣: ١٩) لكل مذنب.. سكوتاً أبدياً.. والسكوت دليل على الموافقة على تهمة القتل الموجهة إليه.. أو بلغة أخرى، هو اعتراف ضمني من القاتل بما ارتكبت يداه.. وقتها «يَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصٍ مِنَ اللهِ» (الشاهد السابق).. والمقصود بكل العالم هم كل من لم يخلصوا، مظللين بكفارة المسيح.

وحتى تتحقق العدالة كاملة.. لابد من ظهور جسم الجريمة.. فإن كان جسم الجريمة هم الشهداء من هابيل، حتى الآن – لمدة ستة آلاف سنة (وما بعدها) – لا يوجد له أثر.. فكيف تكتمل أركان الجريمة.. وكيف تتكيف القضية قانوناً.. أمام القضاء؟

لذلك نقرأ عن **المستودع التاريخي** لهذه الدماء.. ألا وهي الأرض التي فتحت فاها وشربت دماءهم.. إنها تحتفظ بها لحين وقت الدينونة.

سيحدد موعد للمحاكمة.. متى؟.. عندما «.... الرَّبَّ يَخْرُجُ مِنْ مَكَانِهِ (ليأتي إلى العالم، ظاهراً بالمجد والقوة) لِيُعَاقِبَ إِثْمَ سُكَّانِ الأَرْضِ فِيهِمْ» (إش٢٦: ٢١).

وسيكون التكيف القانوني لمحاكمة القتلة - ناهينا عن غيرهم من المذنبين - كالآتي:

١- **القاضي** : الديان العادل (تك١٨: ٢٥)

٢- **المتهمون** : القتلة (وغيرهم من المذنبين) واقفين أمام العرش العظيم الأبيض (رؤ٢٠: ١١، ١٢)

٣- **ممثل الادعاء**: ضمائرهم المشتكية عليهم داخلهم (رو٢: ١٥)

٤- **الدفاع** : نفس ضمائرهم ولكن محتجة (أي مترافعة)

٥- **جسم الجريمة**: ما سوف تقدمه الأرض للعدالة الإلهية.

ما الذي سوف تقدمه الأرض في ذلك اليوم؟.. **إنه كل دم زكي للشهداء**.. لقد شربته يوماً.. لا لتخفيه.. ولا لتهضمه.. بل لتحتفظ به كجسم للجريمة تقدمه (معنوياً) وقت المحاكمة والإدانة مستقبلاً.

لو لم يكن هناك جسم للجريمة.. في أي جريمة قتل.. لما قامت القضية أساساً.

ولو لم تقدم الأرض هذه الدماء - كجسم للجريمة - لحفظت القضية.. أو قُيدت ضد مجهول.

وقد أدرك أيوب هذا في قضيته .. وقت أن «يُحَاكِمَ الإِنْسَانَ عِنْدَ اللهِ» (أي١٦: ٢٢).. فطلب من الأرض أن **لا تغطي دمه** (أي١٦: ١٨).. في معنى رمزي يشير إلى خشيته أن تحفظ قضيته.. بل وطالب بشهود لصالحه.. وقت المحاكمة في ذلك اليوم.. ولم يجد أفضل من **الله** ليكون شهيده (أي من شاهد كل ما جرى له، ويعرفه بكل تفاصيله).. وشاهده (أي المتكلم لصالحه أمام العدالة) في ذلك اليوم (أي١٦: ١٩).

وبالمثل في قضية الشهداء.. حتى لو بدا أن الأرض شربت دماءهم.. وبالتالي كما لو كانت قد حفظت القضية.. كلا.

لذلك نقرأ: «**فَتَكْشِفُ الأَرْضُ** (في ذلك الوقت) **دِمَاءَهَا** (دماء الأبرياء) **وَلاَ تُغَطِّي**

قتلاها فِي مَا بَعْدُ» (إش٢٦: ٢١).

أما الدفاع فلن ينبس بكلمة – كما سبقت الإشارة – إذ سيستد كل فم.. سيخرسه جسم الجريمة.. وتبكمه دماء الأبرياء.

نعم.. لن يخمد صوت الدم.. ولن يتلاشى صراخه بصوت عظيم (رؤ٦: ١٠).. بل ستعلنه الأرض مستقبلاً – معنوياً – وربما عن طريق شريط للذكريات يمر في ذهن القاتل – وقت محاكمته أمام الله – مسترجعاً له عملية قتله، وذبحه الشهداء الأبرياء، بكل تفاصيلها.. وخلفية الفيلم تكون الأرض – مكان ارتكاب الجريمة – ظاهرة في الشريط.. وهي تشرب دم الشهداء، وذلك كجسم للجريمة.. بالصوت والصورة .. حتى يضاف هذا الشريط إلى ملفهم.. لتكون المحاكمة عادلة.. فديان الأرض كلها لابد له أن يستوفي كافة **الإجراءات القانونية**.. بما فيها ضرورة **وجود جسم للجريمة.**

فـ «اَللهُ قَاضٍ عَادِلٌ وَإِلَهٌ يَسْخَطُ فِي كُلِّ يَوْمٍ. إِنْ لَمْ يَرْجِعْ يُحَدِّدْ سَيْفَهُ (أي يصقله). مَدَّ قَوْسَهُ وَهَيَّأَهَا وَسَدَّدَ نَحْوَهُ (نحو المذنب) آلَةَ الْمَوْتِ. يَجْعَلُ سِهَامَهُ مُلْتَهِبَةً» (مز٧: ١١، ١٢).

فلا **التاريخ** ينسى دم الشهداء.. ولا **الأرض** التي شربته.. ولا **الله** الديان العادل.. «وَأَمَّا الظَّالِمُ فَسَيَنَالُ مَا ظَلَمَ بِهِ، وَلَيْسَ مُحَابَاةٌ» (كو٣: ٢٥).

يطالب الناس – بخلاف المؤمنين بالمسيح – بالقصاص من القاتل.. ويصرون عليه.. ويلحون في طلبه.. ويتلمظون لتطبيقه.. وإن أمكن علناً.. شفاء لصدورهم.

لكن القصاص الحقيقي هو من الله.. ويكتب لنا الرسول «**لاَ تُجَازُوا** أَحَداً عَنْ شَرٍّ بِشَرٍّ....**لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ** أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ بَلْ أَعْطُوا مَكَاناً لِلْغَضَبِ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِيَ النَّقْمَةُ **أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ**» (رو١٢: ١٧، ١٩).

والسؤال هنا: هل هناك أمل – بعد كل هذا – لهؤلاء القتلة للنجاة من هذا القصاص الإلهي؟

نعم.. نرى هذا في شريعة القتيل، المشار إليها (تث٢١).. كان شيوخ المدينة

التي يوجه إليها الاتهام، يغسلون أيديهم على البقرة المقدمة للتكفير عنهم.. فيتبرأون.. في رمز واضح إلى أن أي يد ملطخة بدم.. أو ملوثة بذنب يمكن لصاحبها أن يتبرأ، إن هو لجأ إلى ذبيحة تكفي للتكفير عنه.. وليست هذه الذبيحة الكافية إلا **يسوع المسيح المصلوب**.

فكل من يريد أن يغسل يديه من أي ذنب اقترفه أو جريمة ارتكبها فأمامه أن يغسلها – تائباً – على ذبيحة المسيح.. أي يؤمن به كالفادي البديل نادماً، وتائباً.. فتنغسل خطاياه – المقر بفعلها – بدم يسوع المسيح ابن الله الذي يطهر من **كل خطية**.. نعم من **كل خطية** (١يو ١: ٧).. حتى خطية القتل.. شريطة الندم والتوبة على هذه الخطايا.

لقد **غسل** بيلاطس يديه.. ظاناً أنه قد تبرأ من دم المسيح بقوله: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارِّ» (مت٢٧: ٢٤).. وبغض النظر عن التناقض الظاهر في هذه العبارة بين الاعتراف بأن المسيح بار.. وبين كونه يسلم إليهم ليصلب (مت٢٧: ٢٥).. والذي يعبر عن عدم توبته.. فهو أيضاً **لم يغسل يديه على ذبيحة**.. كما كان يفعل شيوخ المدينة المذكورة.. أي لم يؤمن بالمسيح فادياً له.. وبذبيحته نيابة عنه.. فذهب إلى حيث يذهب أمثاله.

أما التائبون، مستقبلاً، من الأمة التي صلبت مسياها قديماً، فسوف يفيض الله عليهم «**رُوحَ النِّعْمَةِ وَالتَّضَرُّعَاتِ** فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ الَّذِي طَعَنُوهُ وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ (نوح التوبة) كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ وَيَكُونُونَ فِي مَرَارَةٍ عَلَيْهِ كَمَنْ هُوَ فِي مَرَارَةٍ عَلَى بِكْرِهِ (مرارة الحزن والندم على خطيتهم). فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَعْظُمُ النَّوْحُ فِي أُورُشَلِيمَ» (زك١٢: ١٠، ١١).

وإذ تنكشف لهم حقيقة مسياهم، يصير لسان حالهم: «**وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ** (في حقيقة الأمر) **مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا**» (إش٥٣: ٤، ٥).

وما مزمور التوبة الشهير (مز ٥١) إلا – في الأصل – هو – نبويا– لسان حال

الراجعين من إسرائيل إلى مسياهم، مستقبلاً.. إذ يبدأ بـ «ارْحَمْنِي يَا اللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ. حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيَّ. اغْسِلْنِي كَثِيراً مِنْ إِثْمِي وَمِنْ خَطِيَّتِي طَهِّرْنِي.... اسْتُرْ وَجْهَكَ عَنْ خَطَايَايَ» وصولاً إلى اعترافهم الحقيقي بجريمتهم الشنعاء.. وهي سفك دم المسيح.. فيصرخون: «نَجِّنِي مِنَ **الدِّمَاءِ** يَا اللهُ إِلَهَ خَلاَصِي» (مز ٥١: ١٤).

فإن كانت هذه الصلاة «نجني من الدماء»، هي صلاة حرفية لداود.. يطلب فيها من الله أن ينجيه من عقوبة هذه الدماء؛ دماء **أوريا الحثي**.. الذي تآمر داودعليه، وتسبب في قتله.. فتلطخت يداي داود بدماء أوريا (٢صم١٢: ٩).. إلا إنها أيضاً – نبوياً – تشير إلى صلاة البقية التائبة من الشعب القديم، في المستقبل، طالبة غسل أيديها من **دم المسيح**.. الذي قال آباؤهم عنه: «دَمُهُ عَلَيْنَا **وَعَلَى أَوْلاَدِنَا**».

أما الجيل المعاصر للرب، والقاتل وغير التائب، فقد تنبأ الرب عنه: «لِكَيْ يُطْلَبَ مِنْ هَذَا الْجِيلِ **دَمُ** جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ الْمُهْرَقُ مُنْذُ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ مِنْ دَمِ هَابِيلَ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا (بن برخيا) الَّذِي أُهْلِكَ بَيْنَ الْمَذْبَحِ وَالْبَيْتِ. نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يُطْلَبُ مِنْ هَذَا الْجِيلِ» (لو ١١: ٥٠، ٥١).

وقد تمت هذه النبوة عنما غزا الرومان أورشليم بقيادة تيطس عام ٧٠م، وهدموها وبنوها فيها، وحطموا الهيكل.. إلخ.

أما التائبون، في المستقبل فسيكونون كشيوخ مدينة القتيل – الذين يغسلون أيديهم على الذبيحة – فيُغفر لهم الذنب.

وعلى هذا الأساس يُنزع الدم البريء (دم المسيح وغيره) من وسطهم، ومن مدينتهم أورشليم.. وتأتيهم البركة.. وينطبق عليهم قول الرسول بطرس لهم: «تُوبُوا وَارْجِعُوا **لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ** لِكَيْ تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ» (أع٣: ١٩).

كنت في شبابي يوماً، أقف مع زملاء لي من الطلبة، نصلي من «**الأجبية**» لأردد هذا المزمور من قلبي، وبإخلاص طالباً مراحم الرب وغفران خطاياي.. وإلى هنا لا غبار.. لكني عندما كنت أصل إلى عبارة: «**نجني من الدماء**»، كنت أصلي،

ظاناً أنها **دمائي أنا**، حتى يحميني الرب من أن تسفك في حادث مرور.. أو برصاصة طائشة.. أو بمعركة لا يد لي فيها.. إلخ.

وعرفت بعد ذلك، أنها ليست دمائي أنا.. لكنها دماء الأبرياء التي تطارد مذنوبيتها ودينونتها كل من سفكها.. بدءاً من سافك دم هابيل.. إلى آخر سافك دم.. حيواناً كان سافك هذا لدم.. أم إنساناً.. أم مدينة.

نحن لا نود للقتلة – مع أنهم قتلوا أحباءنا – الوصول بجريمتهم إلى مصيرهم الأبدي التعيس (رؤ٢١: ٨).. لكننا نطلب إلى الله .. ونصلي من أجلهم، أن تنفتح «عُيُونَهُمْ كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ حَتَّى يَنَالُوا بِالإِيمَانِ (به) غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيباً مَعَ الْمُقَدَّسِينَ» (أع٢٦: ١٨).

وبعد هذا كله.. تظل جهنم، بحيرة النار الأبدية، فاتحة أبوابها.. منتظرة كل باغ وقاتل.. لم يتب.. ويرجع.. معترفاً بخطاياه.. مغتسلاً (معنوياً) منها بدم المسيح، **العلاج الوحيد** – في صيدلية الله – القادر على غفران وغسل كل الخطايا.. ومحوها من كتب وأسفار الواقفين أمام عرش الله العظيم الأبيض للدينونة (رؤ٢٠: ١١ – ١٥).. ومسح أعمالهم المدونة في هذه الأسفار.

القرية

قرية الشهداء

هناك أحداث كبار، ترفع اسم قرية صغيرة مجهولة، لتدخلها التاريخ كإحدى كبرى البلدان في العالم.

ولدينا الدليل الكتابي على هذا.. عندما نقرأ عن قرية بيت لحم مرتين.. مرة وهي صغيرة.. وأخرى وهي ليست الصغرى.

ففي سفر ميخا (٥: ٢) نقرأ: «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ **صَغِيرَةٌ** (أي أصغر من) أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ (قرى) يَهُوذَا فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ.

كانت **أصغر** من أن تُدرج في قائمة ألوف القرى في يهوذا.. غير أن الحدث الفريد، الذي غير وجه التاريخ، غير أيضاً وضع هذه القرية.

ما هو هذا الحدث؟.. إنه ليس إلا خروج المسيح منها.. إذ ولد سيدنا – كإنسان– في «بَيْتِ لَحْم» (مت٢: ١).. وهو الذي مخارجه (أصله) منذ القديم منذ أيام الأزل.

وإذ بهذه القرية، بالتالي يرتفع قدرها.. فيكتب عنها البشير متى – بعد ذلك: «وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَرْضَ يَهُوذَا **لَسْتِ الصُّغْرَى** بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا (بعد أن كانت **صغيرة**.. والسبب) لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ» (مت٢: ٦).

تفتخر الشعوب بمدنها التي أنجبت عظماء دخلوا التاريخ.. ومعهم دخلت مدنهم وقراهم.

وينشئون في هذه البلدان متاحف، تضم آثار هؤلاء العظماء.. يرتادها السائحون من كل أطراف الأرض.

وليس أدل على ذلك أكثر من آثار قدماء المصريين، في كافة ربوع مصر.. والمنتشر كثير منها في معظم متاحف العالم.

وبالتالي نفتخر نحن المصريون بهؤلاء الملوك العظماء.. كقول النبي أشعياء على لساننا – نحن المصريين – نحن أبناء «مُلُوكٍ قُدَمَاءَ» (إش١٩: ١١).

ويفتخر شاعر النيل بأجداده قائلاً:

وبناة الأهرام في سالف الدهر كفوني الكلام عند التحدي

أما عبد الرازق بن حسن بن إبراهيم البيطار فيكتب:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا من الآثار

ويبدو أن هذه الظاهرة – الافتخار بالأجداد – كانت موجودة أيام بني قورح (حوالي ١٤٠٠ ق.م)، حتى أنهم كتبوا ليس فقط عن عظماء مصر، بل أيضاً عن افتخار المصريين بملوكهم القدماء.. المولودين في «رهب» (مصر – أش٣٠: ٧) «وبابل».. وغيرها قائلين: «أَذْكُرُ رَهَبَ وَبَابِلَ عَارِفَتِيَّ.... **هَذَا** وُلِدَ هُنَاكَ (في مصر) (مز٨٧: ٤).. أي أن هذا **الملك** – إن كان **سنفرو** باني هرم سقارة (٢٦٥٠ ق.م).. أو **خوفو** باني الهرم الأكبر (٢٥٨٠ ق.م).. أو غيرهم – قد ولد هناك.. في رهب[١٠].

أما بنو قورح فلم يجدوا بين شعبهم المسكين من يشار إليه بأنه بنى هرماً واحداً.. أو صنع تمثالاً واحداً.. أو ترك أثراً واحداً (باستثناء سليمان طبعاً، لأنه جاء بعد بني قورح).. فكما لو كان قد حز في نفوسهم هذا الأمر.. وأن هذا (الفرعون) ولد هناك (في رهب).. دون أن يولد من يطاوله في إسرائيل.

إلا أنهم بروح النبوة رأوا أمراً معزياً عجيباً.. وهو أمر لم يكن قد حدث في أيامهم

بعد.. لكنهم رأوه بعين المستقبل.. فكتبوا: «وَلِصِهْيَوْنَ يُقَالُ.... هذا الإنسان ولد فيها (مز٨٧: ٥)».

من هو هذا العظيم الذي يمكن أن يشار إليه بأنه قد وُلد فيها (صهيون)؟

إنه من كتب عنه أشعياء النبي قبل ٧٠٠ عام من مجيئه: «**يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ** وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ.... غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هَذَا» (إش٩: ٦، ٧).

وهو من وصفه الملاك لمطوبة الأجيال العذراء مريم في بشارته له بأنه: «هَذَا يَكُونُ **عَظِيماً** وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ **كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ وَيَمْلِكُ** عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ» (لو١: ٢٢، ٢٣).

- **إنه يسوع .. الملك.. العجيب.. العظيم.. المشير.. القدير....إلخ...** مولود قرية بيت لحم.

فإن كنتم **تغارون** يا بني قورح، لأنه لم يولد لكم **عظيم** (في صهيون) مثلما ولد في رهب.. ويشار إليه بأنه مثل من ولد هناك، فإن لرب الجنود **غيرة أعظم من غيرتكم** (إش٩: ٧).. على مدينته التي اشتهاها مسكناً له (مز١٣٢: ١٣).. وأحب أبوابها أكثر من جميع مساكن يعقوب (مز٨٧: ٢).. لذلك فهو يرسل ملاكه ليبشرهم «بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ **وُلِدَ لَكُمُ** الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ **مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ**» (لو٢: ١١).

فإن قيل هذا (الفرعون) ولد هناك (في رهب).. فيقال الآن: هذا الإنسان **الملك.. العجيب.. العظيم.. المشير..** ولد فيها (في صهيون).. وهو أيضاً **الابن، بغير ولادة (الإله القدير.. أبو الأبدية)** (إش٩: ٦، ٧).

من هو المؤرخ الذي يسجل هذا الميلاد، لجميع الشعوب؟.. إنه الرب نفسه.. فإن كان الفراعنة قد سجلوا تواريخهم على جدران معابدهم الحجرية.. وعلى أوراق

البردي.. فإن الرب نفسه يسجل «يَعُدُّ فِي كِتَابَةِ (تاريخ) الشُّعُوبِ أَنَّ هَذَا (المسيح) وُلِدَ هُنَاكَ (في بيت لحم)».. إنه التاريخ كما يسجله الله.. لا كما يسجله البشر.. وفي سجلاته السماوية.. لا في أوراق، أو على أحجار.

فإن قيل: بك **أهرام** يا مدينة آمون.. (ماضياً).

فيقال في المقابل: «بِكِ **أَمْجَادٌ** يَا مَدِينَةَ اللهِ».. (وقت التجسد - بصورة جزئية .. ومستقبلاً بصورة كاملة).

وإن «قيل هذا (الفرعون) **ولد هناك**.

فيقال في المقابل: «وَهَذَا الإِنْسَانُ (المسيح) **وُلِدَ فِيهَا** وَهِيَ الْعَلِيُّ يُثَبِّتُهَا» (مز ٨٧: ٥).

هكذا **قرية العور وما حولها من القرى** اللواتي ولد فيها هؤلاء الشهداء ستدخل التاريخ.. فإن لم يكن التاريخ كما يسجله البشر.. فإنه سيكون التاريخ كما يسجله الله.. الذي «**يَعُدُّ فِي كِتَابَةِ الشُّعُوبِ**».. ويدون في سجلات الأمم.. أن هذا الشهيد ولد هناك.. **في العور** وما حولها من قرى.

أي مجد إذاً - ليس فقط للشهداء .. ولا لذويهم فقط.. بل - حتى لقراهم أيضاً.

إنه الله الذي «لَيْسَ بِظَالِمٍ».. فسجلاته الإلهية.. لا تسقط شيئاً واحداً.. ولا شعرة واحدة من رؤوسنا (لو ٢١: ١٨).. فكم بالحري رؤوس شهدائه التي - بكل إشفاق منا - نراها طارت من أعناقهم.. من أجل المسيح.

وإن كنا قد سبق أن رأينا إدانة المدينة القاتلة **كأورشليم**.. فإن عدالة الله في المقابل تقدر المدن والقرى كـ «**بيت لحم**»، لميلاد المخلص فيها.. وكـ «**نينوى**» لتوبة أهلها (مت١٢: ٤١).. وعلى ذات القياس - مع الفارق - **القرى** التي قدمت الشهداء.

إلحاق

شهداء الضيقة

ما دمنا قد تناولنا موضوع الشهداء في المسيحية، قديماً – فربما إلحاقاً له – يكون من المناسب أن نعرج على شهداء ما بعد المسيحية، مستقبلاً.. ألا وهم شهداء الضيقة (السبع سنين التي تلي الاختطاف دا٩: ٢٧).

وتنقسم هذه السنوات السبع إلى قسمين متساويين.. أطلق الرب يسوع المسيح على القسم الأول منها اسم: «مُبْتَدَأُ الأَوْجَاعِ» (مت٢٤: ٨).. وعلى القسم الثاني اسم «الضيق العظيم» (مت٢٤: ٢١).. وهو نفس الاسم الذي ورد في النبوات؛ «ضِيقٍ عَلَى يَعْقُوبَ» (أر٣٠: ٧).. لأن المعنى به هو الشعب القديم بالدرجة الأولى.. غير أنه سيعم المسكونة كلها (لو٢١: ٢٦).

وحدد النبي دانيال، وكذلك يوحنا الرسول الرائي، مدة كل من هذين القسمين بـ: ثلاث سنوات ونصف، أو باثنين وأربعين شهراً.. أو بألف ومائتين وستين يوماً (دا١٢: ٧، رؤ١٢: ٦، ١٤& ١٣: ٥).

ولكل قسم شهداؤه.. فلمبتدأ الأوجاع شهداؤه.. وللضيقة العظيمة شهداؤها.

أولاً: شهداء مبتدأ الأوجاع:

هم الذين يستشهدون (من الشعب القديم) «مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ الشَّهَادَةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُمْ» (رؤ٦: ٩).. ما هي الكلمة والشهادة التي عندهم في ذلك الوقت

(بعد الاختطاف).. إنها ليست الكرازة بالإنجيل.. فهذه انتهى أمرها بالاختطاف.. لكنها بشارة الملكوت.. كما أشار الرب: «وَيُكْرَزُ **بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ** هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الأُمَمِ» (مت٢٤: ١٤).. وبذلك تعتبر امتداداً – بعد انقطاع – للشهادة التي بدأها يوحنا بقوله: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ **مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ**» (مت٣: ٢) .. والتي كرز بها تلاميذ المسيح الاثنا عشر في إرساليتهم الأولى (مت١٠: ٧).. والتي كرز بها السبعون كذلك (لو١٠: ١).. بل والرب نفسه (مت٤: ١٧)، كمن «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ» (يو١: ١١).. وذلك قبل رفضه من خاصته.. لأن «خَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ» (الشاهد السابق).

وحيث أن العالم **كله** – أمماً وشعوباً – يرفض ملكوت المسيح.. كقول المرنم: «لِمَاذَا ارْتَجَّتِ **الأُمَمُ** وَتفكَّرَ **الشُّعُوبُ** بِالْبَاطِلِ؟ قَامَتْ مُلُوكُ الأَرْضِ وَاجْتَمَعَ الرُّؤَسَاءُ مَعاً عَلَى الرَّبِّ وَعَلَى مَسِيحِهِ» (مز٢: ١، ٢).. لذلك يقوم منهم من يقتل كل من يطاله من هؤلاء الكارزين بالملكوت.

وإن كان الرب يرد على رافضي الكرازة هؤلاء، في نفس المزمور الثاني بالقول: «أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي (هذا الذين ترفضونه وتتآمرون عليه) عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي» (مز٢: ٦).. إلا أن هذا الرد الإلهي لن يوقف استشهاد الأمناء لأن تطبيقه – بتمليك المسيح – سيكون في ختام السنين السبع.

ثانياً: شهداء الضيقة:

وهم الذين سيرفضون السجود للوحش الأول (رؤ١٣: ١).. الذي «أُعْطِيَ أَنْ يَصْنَعَ حَرْباً مَعَ الْقِدِّيسِينَ (من الشعب القديم، في ذلك الوقت) وَيَغْلِبَهُمْ» (رؤ١٣: ٧) – وفي نفس الوقت – لا يتبعون الوحش الثاني (رؤ١٣: ١١)؛ أي النبي الكذاب (رؤ١٦: ٣).. الذي «يَجْعَلَ جَمِيعَ الَّذِينَ لاَ يَسْجُدُونَ لِصُورَةِ الْوَحْشِ (الأول) يُقْتَلُونَ» (رؤ١٣: ١٥)!

وإن كنت قد وضعت من جانبي علامتي تعجب بعد الشاهدين السابقين.. فربما لأن في نفسي تساؤل.. وربما في نفس غيري.. أمام هذا الظلم الذي يكتب عنه آساف:

«لأَنَّهُ تَمَرْمَرَ قَلْبِي وَانْتَخَسْتُ فِي كُلْيَتَيَّ. وَأَنَا بَلِيدٌ **وَلاَ أَعْرِفُ**» (مز ٧٣: ٢١).. وهو لماذا؟

لا نعرف السر – الآن – وراء الظلم.. ووراء قتل الأمناء.. إلا أن النبي أشعياء يكشف لنا الحقيقة بقوله عن هؤلاء الشهداء: «يُضَمُّونَ **وَلَيْسَ مَنْ يَفْطِنُ** بِأَنَّهُ مِنْ وَجْهِ الشَّرِّ يُضَمُّ الصِّدِّيقُ. يَدْخُلُ السَّلاَمَ. يَسْتَرِيحُونَ فِي مَضَاجِعِهِمْ» (إش٥٧: ٢).

لكن **إلى متى** يظلون قابعين في مضاجعهم قتلى وشهداء.. وهو ما سأله شهداء مبتدأ الأوجاع «**حَتَّى مَتَى** أَيُّهَا السَّيِّدُ الْقُدُّوسُ وَالْحَقُّ، لاَ تَقْضِي وَتَنْتَقِمُ لِدِمَائِنَا مِنَ السَّاكِنِينَ عَلَى الأَرْضِ؟.... وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ يَسْتَرِيحُوا زَمَاناً يَسِيراً أَيْضاً حَتَّى يَكْمَلَ الْعَبِيدُ رُفَقَاؤُهُمْ، وَإِخْوَتُهُمْ (شهداء الضيقة) أَيْضاً، الْعَتِيدُونَ أَنْ يُقْتَلُوا مِثْلَهُمْ» (رؤ٦: ١٠، ١١).

ومتى أكمل العبيد رفقاؤهم (شهداء الضيقة) جهادهم.. واستشهدوا.. وتمت السنوات السبع.. نقرأ عن الفريقين: «وَرَأَيْتُ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ (الفريق الأول؛ شهداء مبتدأ الأوجاع) وَالَّذِينَ لَمْ يَسْجُدُوا لِلْوَحْشِ وَلاَ لِصُورَتِهِ، وَلَمْ يَقْبَلُوا السِّمَةَ عَلَى جِبَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ (الفريق الثاني؛ شهداء الضيقة العظيمة)».. كيف رآهم يوحنا؟.. نقرأ قوله: «فَعَاشُوا (بعد أن ماتوا.. أي قاموا) وَمَلَكُوا (كملوك) مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ. وَأَمَّا بَقِيَّةُ الأَمْوَاتِ فَلَمْ تَعِشْ حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ. هذِهِ هِيَ الْقِيَامَةُ الأُولَى» رؤ ٢٠: ٤، ٥).

أي أن قيامة الراقدين من مؤمني العهد القديم والجديد.. لا تعتبر وحدها القيامة الأولى إلا بقيامة هؤلاء.. فينطبق على الجميع: «مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْقِيَامَةِ الأُولَى. هؤُلاَءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ سَيَكُونُونَ (مؤمنو العهد القديم والجديد، وشهداء مبتدأ الأوجاع، وشهداء الضيقة العظيمة) كَهَنَةً للهِ وَالْمَسِيحِ، وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ» (رؤ٢٠: ٦).

إن شهداء الضيقة، لن يكونوا رعايا ملكوت المسيح، بل سيملكون معه (كملوك ألف سنة) (الشاهد السابق).. لذلك يطوبهم الله بالقول: «طُوبَى لِلأَمْوَاتِ الَّذِينَ يَمُوتُونَ فِي الرَّبِّ مُنْذُ الآنَ» (رؤ١٤: ١٣).. من هم أولاء؟.. إنهم شهداء الضيقة (بشقيهم)..

علام التطويب؟.. أعلى الموت وعذابه؟.. كلا.. بل على إلحاقهم بالقيامة الأولى ليصيروا ملوكاً مع المسيح.. لا رعايا في ملكوته.

ويواصل قداسة البابا شنودة الثالث قصيدته الموجهة إلى الشهداء فيكتب:

هذه القوة في غير انتهاء	كيف جاءتكم جموع الشهداء
أي سيف قد تسلحتم به	أيها العزل في ساح الدماء
قد تسلحتم بقلب طاهر	ودعاء مستجاب ورجاء
ألهمونا بعض تقواكم فقد	أظلم الكون وعز الأتقياء
ويقيناً كلما نذكركم	يخفق القلب ويدعو في حنين
لم تموتوا أيها الأبطال بل	قد سكنتم في سماء الخالدين

*****

إن للشهداء جميعاً مكانة كبيرة – فاتتهم في الحياة.. لكنها حُفظت لكل فريق منهم بعد الحياة.. أياً كان زمان، أو مكان، أو أسباب استشهادهم المتنوعة.. طالما كانت كلها من أجل كلمة الله، وشهادة يسوع.. والثبات بأمانة على عدم إنكاره.

ملاحق

ملحق ١: من حيث أن المشيئة الإلهية صالحة على الدوام، ومرضية، وكاملة (رو ١٢: ٢).. من ثم فليس الاستشهاد ضمن هذه المشيئة.. كذلك الأمراض.. والتجارب.. أما إن سمح الله للشيطان - كما في موضوع أيوب (أي ١).. وفي موضوع الشهداء - بإتيان الأذى فهذا ليس ضمن المشيئة الإلهية الصالحة.. بل بإذن منه أعطاه الله للشيطان.. ففي قصة أيوب نقرأ قول الرب **للشيطان:** «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟» (أي ١: ٨).. وبالنسبة للشهداء نقرأ: «هُوَذَا **إِبْلِيسُ** مُزْمِعٌ أَنْ يُلْقِيَ بَعْضاً مِنْكُمْ فِي السِّجْنِ لِكَيْ تُجَرَّبُوا» (رؤ ٢: ١٠).

هذا عن الأذى الذي يصيب المؤمن دون أن يكون له دخل فيه.. أو يكون ناتجاً عن خطأ من هذا المؤمن.. أو خطية.. إلخ..

أما إن كان الألم بسبب أخطائنا.. فهذه نتيجة طبيعة.. كحصاد بعد الزرع (غل ٦: ٧).

ملحق ٢: نقرأ النص مرة أخرى: «لَمْ **تُقَاوِمُوا** بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ».. وليس؛ لم **تجاهدوا** بعد حتى الدم.. ما المعنى؟.. المقاومة عمل سلبي.. أما الجهاد فعمل إيجابي.. فحتى لو كان الدم هو دمنا نحن، عن طريق الاستشهاد، فنحن غير مدعوين للاندفاع بإيجابية لهذا العمل لكننا إن طلب منا إنكار المسيح، فهنا تأتي المقاومة أي الرفض.. ولو أدى ذلك إلى الاستشهاد من أجل المسيح.. هي

مقاومة سلبية إذاً.. وليست اندفاعاً أهوج تحت مظلة الجهاد.. إنها **مقاومة.. وليست جهاداً.**

لكن يضيف كلمة مجاهدين.. «لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ».. الجهاد هنا هو ضد الخطية.. وليس اندفاعاً للموت.. ما هي الخطية هنا؟.. إنها – بصفة رئيسية – خطية إنكار المسيح.. فهو جهاد مع النفس، حتى لا يدفعنا الخوف من الموت إلى إنكار المسيح.. وحتى مع كونه جهاداً، فهو جهاد أقرب إلى المقاومة السلبية.

فليس مطلوباً منا أن نجاهد ونحارب، حتى الدم، لنشر الدعوة المسيحية.. أو التبشير بالمسيح.

لذلك ليست المقاومة هي فقط لعدم إنكار المسيح، بل تمتد أيضاً لتشمل مقاومة ظروف المعيشة الصعبة، للتغلب عليها، في أماكن الخدمة، التي تكون أحياناً أماكن خالية من وسائل المعيشة العادية.. نقاوم رغبتنا في التكاسل عن الخدمة بسبب ظروف السفر، ليست المتعبة فقط، بل والخطيرة أحياناً.. **نقاوم** حتى الدم، أي معرضين أنفسنا للموت.. إلخ.. **نقاوم حتى الدم.. ولا نجاهد حتى الدم.**

أما الجهاد الدموي لنشر المسيحية.. فهذا لم يفعله المسيح.. ولا رسله.. ولا آباء الكنيسة الأوائل.. ولا هو ضمن خطة الله لنشر الإنجيل بالوسائل الروحية.. لأن «أَسْلِحَةُ مُحَارَبَتِنَا لَيْسَتْ جَسَدِيَّةً» (٢كو١٠: ٤).. و «مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ.... أَجْنَادِ الشَّرِّ **الرُّوحِيَّةِ**»

ملحق٣: راجع العدد الثالث من هذه السلسلة، بعنوان «كرسي المسيح».

ملحق٤: من عجائب الكلمة، أن الرب يقدم نفسه في كل خطاب من الخطابات الموجهة للكنائس السبع، في سفر الرؤيا، بصفة تتناسب مع ما تجتاز فيه هذه الكنيسة.. أو ما يناسب حالتها.

لذلك فالرب يقدم نفسه لملاك هذه الكنيسة (سميرنا)، بأنه «الَّذِي كَانَ **مَيْتاً فَعَاشَ**» (رؤ ٢: ٨).. لماذا؟.. لتشجيع من يقدمون على الاستشهاد.. وبأن الموت ليس هو نهاية المطاف.. بل القيامة، تشبهاً به.. «لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتَى لاَ يَقُومُونَ فَلاَ يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ» (اكو١٥: ١٦).. ويكون «الَّذِينَ رَقَدُوا فِي الْمَسِيحِ أَيْضاً هَلَكُوا» (اكو١٥: ١٨).. «وَلَكِنِ الآنَ قَدْ **قَامَ الْمَسِيحُ** مِنَ الأَمْوَاتِ وَصَارَ **بَاكُورَةَ الرَّاقِدِينَ**» (اكو١٥: ٢٠)

ملحق٥: في أرياف مصر - حيث يربي المزارعون هناك المواشي - عندما يموت «بطش»، مثلاً، وهو وليد الجاموسة، يتوقف لبنها لغياب ولدها، الذي تستشعره لغياب رائحته عن أنفها.. لذلك فحتى يستحلبها الأهالي فإنهم يأخذون جلد البطش ويحشونه تبناً ويصنعونه على هيئة دمية، يسمونها: «بِعَوٌ».. يطلقون هذا «البعو» على والدته.. فتشمه.. وتتأكد أنه وليدها، فتدر لبنها.

ملحق٦: المر هو العلقم أو الخشخاش.. وكان يمزج مع الخل وبحسب العلامة «**جون موريس**» - في كتابه: الإنجيل بحسب القديس يوحنا - أنه من تقاليد قوانين مجمع السنهدرين أن تذاب قطعة من اللبان المر في الخل وتعطى للهالك.. وكانت النساء الشريفات من أورشليم يجهزن هذا المسكر، ويقدمنه للهالك.

وفي صعيد مصر، يخمرون البلح ويستخلصون منه ما يشبه الخمر.. ويسمى .. «عرق البلح».. وحتى يكون له مفعول مسكن للألم، يضيفون إليه سائلاً مراً.. من عصير جريد النخل.. ويقدمونه لمريض متوجع.. أو محتضر يعاني سكرات الموت متألما.

ملحق٧: كما سيأتي ذكره.. في التوثيق العلمي.

ملحق٨: إستفانوس وهو يرجم، رأى مجد الله ويسوع قائماً عن يمين الله (أع٧: ٥٥) فهل كان يسوع **قائماً**.. بينما في (عب١) نرى أنه «بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا، **جَلَسَ**» (عب١: ٣)؟

أم كان **جالساً وقام** لاستقبال استفانوس.. مثل جندي التشريفة الذي يهب واقفاً لاستقبال من يستقبلهم؟.. وإن كان كذلك، فهل هناك وقت كاف لقيام المسيح وجلوسه، كلما وصل إلى السماء مؤمن أو شهيد.. كما يفعل التلاميذ في بدء الحصة الدراسية، عندما يدخل المدرس ينادي قيام.. فيهب التلاميذ وقوفاً لاستقباله، وتحيته.. ثم ينادي جلوس فيجلسون؟.. أيظل المسيح يؤدي عملية قيام.. وجلوس.. إلخ؟

بالطبع هذا كلام غير منطقي.. ما المعنى إذاً؟

لم يجلس المسيح جلوساً نهائياً فور القيامة والصعود.. ومعروف أنه جلوس شرفي، وليس حرفياً.. بمعنى إكمال العمل المنوط به.. فكلمة «فجلس» تعني أنه أكمل العمل كله.. ولما كان صنع تكفير لخطايانا ليس كل العمل.. ولما كان انتظاره لموقف نهائي رسمي من شعبه، بقبوله أو رفضه هو إكمال **كل** العمل.. لذلك فحتى رجم إستفانوس، لم يكن قد جلس، لأن كل العمل لم يكن قد تم .. مع أنه كان قد صعد إلى السماء.

كان **قائماً** في انتظار الكلمة الرسمية من شعبه، ليختم بها عمله.. من ثم يجلس بعدها.

لم يعتبر هيجان الغوغاء عليه، منادين بصلبه، رفضاً رسمياً بل شعبي (يو١٩: ١٢، ١٥ & مر١٥: ٨، ١٣).. ولم يعتبر محاكمته الدينية الأولى أمام حنان محاكمة رسمية، لأنه **لم يكن رئيس الكهنة**، بل كان حما قيافا رئيس الكهنة، في تلك السنة (يو١٨: ١٣).. ولا اعتبر محاكمته الدينية الثانية، أمام قيافا رئيس الكهنة، محاكمة رسمية، إذ أنها تمت في بيت **رئيس الكهنة قيافا** (يو١٨: ١٥).. لأن حنان كان قد أرسله (يسوع) موثقاً إلى قيافا (يو١٨: ٢).. ولم تتم في مجمع السنهدريم.

كان طويل الأناة مع شعبه منتظراً منهم قبولاً رسمياً من خلال مجمع رسمي.

انعقد المجمع ساعة رجم إستفانوس عام ٣٧م وكان يسوع - ابن الإنسان - ما زال **قائماً** منتظراً منهم رداً رسمياً.

ردوا بالرفض - **رداً رسمياً** - من المجمع بنفس واحدة (أع٧: ٥٧).. وكان **رداً عمليا**، برجمهم (كمجمع) استفانوس.

من هنا حق لكاتب العبرانيين بعد عام ٦٨م أن يكتب أنه **جلس** (عب١).. بينما ساعة رجم استفانوس عام ٣٧م كان ما زال **قائماً**.

مما يؤكد أن الجلوس هو جلوس معنوي يفيد إكمال العمل - الذي شمل صنع تطهير خطايانا.. وانتظار قبول أمته له.. (كما وشمل عمله أشياء أخرى كثيرة).

أما بعد إكمال العمل فإن لغته للآب هي: «الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ» (يو١٧: ٤).

ومن ناحية رؤية إستفانوس المسيح في المجد، يكتب أحد الإخوة الأفاضل أن إستفانوس عندما شخص إلى السماء أعطى أن يرى **بالعيان** ما ينبغي أن نراه نحن **بالإيمان** .. لقد رأى إستفانوس الرب قائماً كأنه **ينتظر الراجعين إليه من الشعب القديم.**

أما خادم الرب الفاضل «**يوحنا داربي**» فيكتب في هذا الصدد، أن استفانوس نظر ابن الإنسان قائماً عن يمين الله.. في صفته **كابن الإنسان**.. فيما يشهد لابن الإنسان، أن السماء قد انفتحت له.. لكن عندما صلى طلب من الرب يسوع - **كالرب**، لا كابن الإنسان - أن يقبل روحه.

ملحق٩: الاتزان البيئي، هو ثبات نسبة كل كائن إلى غيره من الكائنات الأخرى، في البيئة حتى لا يطغى كائن في عالم الحيوان أو الأسماك أو الحشرات، أو نبات في عالم النباتات، على غيره.. فتزيد نسبته عن النسبة المقررة لها، من قبل الخالق الحكيم.

فعلى سبيل المثال؛ هاجمت الصراصير جزر هاواي عام ١٩٤٥.. فما كان من السكان إلا أن استوردوا نوعاً من العناكب، يفترس هذه الصراصير.

مما يوضح لنا أن وجود العناكب بنسبة معينة في الطبيعة لازم لعمل الاتزان فلا تطغى الصراصير على البيئة.. وهكذا.. وهناك اتزان بين **كائنين** كالبومة والهوام.. أو كالثعابين والفئران.. وهاك اتزان بين **أكثر من نوعين**.. كنوع واحد يوازن نوعين أو ثلاثة.. وهلم جرا.. فـ «مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ» (مز ١٠٤: ٢٤).

ملحق ١٠: موسى، وقورح ابن عمه، عاينا الأهرام.. كذلك نوح.. فأول هرم (هرم زوسر) بسقارة، بني قبل موسى بأكثر من أحد عشر قرناً.. وقبل الطوفان بحوالي ثلاثة قرون.

- وقد كتب أيوب (تقريباً ٢٠٠٠ ق.م.) في سفره عن الأهرام (أي٣: ١٤).. إذ قد بدأ بناء أولها قبل أيوب بأكثر من أربعة قرون.

المراجع

* تراجم متعددة للكتاب المقدس
* قواميس متعددة للكتاب المقدس
* مراجع روحية:
- تفاسير كنيسة الأخوة، وكنائس أخرى، للشواهد الكتابية الواردة في هذا العدد.
* الميديا ووسائل الإعلام

سلسلة ملء الجباب

صدر منها:

١- ملء الجباب (نفذ)

٢- تكفيك نعمتي (نفذ)

لماذا أنا بالذات؟

٣- كرسي المسيح (نفذ)

٤- حبيب الرب (**طبعة ثانية**)

٥- أرى الدم

ثلاثة أبكار

أربع معارك

٦- على الشجوية

ظل الموت

٧- روشتة للألم

٨- كاهن عظيم

٩- السجين الحالم

١٠- ميمي بك

١١- مجاهد في الجبانة

١٢- رئيس الخلاص

١٣- وأنت تبقى (**طبعة ثانية**)

١٤- لنا شفيع (**طبعة ثانية**)

١٥- محطة الأتوبيس

حجرة الفئران

١٦- رائد وسلطان

١٧- لا تهتموا بشيء (**طبعة ثانية**)

١٨- الاختيار الأزلي

١٩- حقوق المسيح جـ١

٢٠- حقوق المسيح جـ٢

٢١- حقوق المسيح جـ٣

* Upon Shiggaion
* The shadow of death
* The brass serpent

في هذا العدد :

- مكافأة الشهيد الأبدية
- المعونة وقت الاستشهاد
- دم الشـــهيد
- قرية الشــهيد
- و أبواب أخرى

سلسة ملء الجباب

تطلب من

المكتبات المسيحية